مجلة إسلامية - ثقافية - شهرية
تصدر عن جماعة انصار السنة المحمدية

التوحيد

تعظيم حرمات المسلمين

المسلمون فى الكاميرون

أحكام البورصة

بيان اللجنة الدائمة (حكم الزواج المدنى)

السنة السابعة والعشرون - العدد الخامس - جمادى الأول ١٤١٩ الثمن ٧٥ قرشا

بسم الله الرحمن الرحيم

التوحيد

مجلة إسلامية ثقافية شهرية

التحرير

٨ شارع قوله

عابدين - القاهرة

☎ : ٣٩٣٦٥١٧

فاكس : ٣٩٣٠٦٦٢

قسم التوزيع والاشتراكات

☎ : ٣٩١٥٤٥٦

الاشتراك السنوي :

١- في الداخل ١٠ جنيهات (بحوالة بريدية باسم : مجلة التوحيد- على مكتب عابدين .

٢- في الخارج ٢٠ دولارًا أو ٧٥ ريالاً سعوديًا أو ما يعادلها. ترسل القيمة بحوالة بريدية على مكتب عابدين أو بنك فيصل الإسلامي- فرع القاهرة- باسم: مجلة التوحيد- أنصار السنة (حساب رقم/ ١٩١٥٩٠).

صاحبة الامتياز

جماعة أنصار السنة المحمدية

المركز العام القاهرة ٨ شارع قوله - عابدين

هاتف : ٣٩١٥٥٧٦ - ٣٩١٥٤٥٦

في هذا العدد

الافتتاحية : الرئيس العام : الوحشة والرفيق ٢
كلمة التحرير : الشيخ / عبد الرحمن بن ناصر (رحمه الله) :
معاشرة المؤمنين ٤
باب التفسير : الشيخ عبد العظيم بدوي : تعظيم حرمات الله ٦
باب السنة : الرئيس العام : السواك ١٠
موضوع العدد : الشيخ مصطفى عبد الجواد :
خلق الإنسان في القرآن الكريم ١٨
أسئلة القراء عن الأحاديث : الشيخ أبو إسحاق الحويني ٢٢
باب الفتاوى : لجنة الفتوى ٢٦
بيان للجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء عن حكم الزواج المدني ٣٢
قصيدة : محمد عبد الحكيم القاضي : إلى مغرور ٣٣
باب السيرة : الشيخ عبد الرازق السيد عيد :
يوسف ، عليه السلام ، في السجن ٣٤
من روائع الماضي : الشيخ محمود شلوت : الموالد للموتى ٣٨
عقائد الصوفية في ضوء الكتاب والسنة: أ / محمود المراكبي ٤٠
لا تيأسوا من روح الله : بقلم / أبو الحسن أشرف نمير ٤٥
أخلاقيات التعامل الاقتصادي في الإسلام :
زيد بن محمد الروماني ٤٦
علو الهمة وأثره في حياة الفرد والأمة :
بقلم / بدر عبد الحميد هميسة ٤٨
باب الأدب : د / السيد عبد الحليم : الإيمان ومزاياه ٥٢
المسلمون في الكاميرون : محمد بن أحمد الكاميروني ٥٦
باب اللغة العربية : د / سيد خضر : تقويم اللسان [١] ٥٨
التراجم : الشيخ / فتحي أمين عثمان والشيخ / سعد صادق :
(أ .د / السيد رزق الطويل) ٦١

التحرير
٨ شارع قوله
عابدين - القاهرة

☎ : ٣٩٣٦٥١٧
فاكس : ٣٩٣٠٦٦٢

قسم التوزيع والاشتراكات
☎ : ٣٩١٥٤٥٦

اقرأ في العدد القادم

- **الأسرة المسلمة في بلاد الغرب**
  الرئيس العام
- **النهي عن الحسد**
  فضيلة الشيخ
  عبد العظيم بدوي
- **تقويم اللسان [٢]**
  د / سيد خضر

مع القــراء

انهيار أمريكا !!

تدمير سفارتي أمريكا في كينيا وتنزانيا ، حدث عظيم يحتاج إلى تأمل وتفكر وتدبر !

● فمعظم دول العالم لم تستنكر الحادث ، وهذا يعني شماتة غير معلنة ، وإقرار سكوني لما حدث لأمريكا التي فرضت نفسها على العالم ، واغتصبت قيادته !!

● وأمريكا بقيادة اليهود لا بد أن تحمل مسئولية الحادث للعرب والمسلمين الأبرياء لتشويه صورتهم أمام العالم ؛ ولذلك تم القبض على رجل من أصل عربي في تنزانيا لاحتمال تورطه ، وكان من أهم دوافع القبض عليه أنه أمضي يوم السبت بكامله في المسجد !!

وأعلنت أمريكا إغلاق سفارتها بالخرطوم دون إبداء أسباب ؟!

وعندما نتساءل : لماذا لم تعلن أي جهة مسئوليتها عن الحادث ؟

فالجواب - ببساطة -: أن الموساد الإسرائيلي لا يعلن مسئوليته عن أي حادث يخطط له أو يشارك فيه !!

والله من ورائهم محيط .

رئيس التحرير

- التوزيع في الخارج : مكتبة المؤيد بالرياض .

- التوزيع الداخلي : مؤسسة الأهرام وفروع أنصار السنة.

ثمن النسخه السعوديه ٦ ريالات الامارات ٦ دراهم الكويت ٥٠٠ فلس المغرب دولار امريكى الأردن ٥٠٠ فلس السودان ١٫٥٠ جنيه مصري العراق ٧٥٠ فلس - قطر ٦ ريالات - مصر ٧٥ قرشا عمان نصف ريال عمانى

الافتتاحية

الوحشة والرفيق

بقلم الرئيس العام / محمد صفوت نور الدين

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خير خلق الله أجمعين محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعه إلى يوم الدين ، وبعد :

فإن الإسلام حث على فضائل ، وحذر من رذائل ، الأخذ بذلك نجاة في الدارين وسلامة للعبد ومن حوله ، ومن ذلك اختيار الصحبة الصالحة .

ففي ((الصحيحين)) من حديث أبي موسى الأشعري ، رضي الله عنه ؛ أن النبي ﷺ قال : ((إنما مثل الجليس الصالح وجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير ، فحامل المسك : إما أن يحذيك ، وإما أن تبتاع[١] منه ، وإما أن تجد منه ريحًا طيبةً ، ونافخ الكير : إما أن يحرق ثيابك ، وإما أن تجد منه ريحًا منتنة)) .

وفي سنن أبي داود والترمذي من حديث أبي هريرة ، رضي الله عنه ، أن النبي ﷺ قال : ((الرجل على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل)) . وعندهما أيضًا من حديث أبي سعيد الخدري ، رضي الله عنه ، أن النبي ﷺ قال : ((لا تصاحب إلا مؤمنًا ، ولا يأكل طعامك إلا تقي)) .

وفي ((الصحيحين)) من حديث أبي هريرة ، رضي الله عنه ، قال : ((تنكح المرأة لأربع : لمالها ، ولحسبها ، ولجمالها ، ولدينها ، فاظفر بذات الدين تربت يداك)) . قال النووي : معناه أن الناس يقصدون في العادة من المرأة هذه الخصال الأربع ، فاحرص أنت على ذات الدين واظفر بها ، واحرص على صحبتها .

والمسلم في الصحبة الصالحة يستعين بها على مواجهة الفتن والثبات على طريق الرشد .

هذا ، وقد نهى النبي ﷺ عن التبدي - سكنى البادية - لما فيه من البعد عن الجماعة التي يستعين بها

---

[١] تبتاع : تشتري .

على دينه ، وقد أمر النبي ﷺ المسلم بالهجرة من بلد الكفر إلى بلد الإسلام ، والهجرة من بلد المعصية إلى بلد الطاعة ، والهجرة من بلد الكفر التي لا يستطيع أن يقيم فيها دينه - ولا توجد بلد إسلام - إلى بلد كفر يستطيع أن يقيم فيها دينه ، كهجرة أصحاب النبي ﷺ من مكة إلى الحبشة .

يقول في ((منار السبيل)) : والهجرة واجبة على كل من عجز عن إظهار دينه بمحل يغلب فيه حكم الكفر والبدع المضلة ، بحيث يمنع من فعل الواجبات ؛ لأن ما لا يتم الواجب إلا به واجب ، وكذا إن خاف الإكراه على الكفر ؛ لقوله تعالى : ﴿ إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الأرض قالوا ألم تكن أرض اللّه واسعةً فتهاجروا فيها ﴾ [النساء : ٩٧] .

وعنه ﷺ قال : ((أنا بريء من كل مسلم يقيم بين أظهر المشركين لاتراءى نارهما)) . وعن معاوية مرفوعًا : ((لا تنقطع الهجرة حتى تنقطع التوبة ، ولا تنقطع التوبة حتى تطلع الشمس من مغربها)) .

ففي بلاد الإسلام توجد كثرة مسلمة وقلة من غير المسلمين ، فيسير المسلم في طريقه يلقي السلام على من عرف ومن لم يعرف ؛ لأن الغالبية من المسلمين وإن لم يتميزوا في زيهم وهيئتهم ، ويشتري اللحم ممن يبيعه بغير سؤال عن حل الذبح ؛ لأن الغالب عليهم الإسلام .

وتخرج فئات من المسلمين وشبابهم إلى بلاد الكفر سعيًا وراء مال يجمعونه ، أو دنيا يصيبونها كلهم - إلا من رحم ربي - ولم يتحصنوا في دينهم وعقيدتهم ؛ لذا فإن شبهات الكافرين تتسرب إليهم رويدًا رويدًا ، فتراهم يتشككون في الجليات الواضحات ، ويستريبون في المستيقنات ، ويردون البديهيات ، فإن بقوا هناك فإنهم يلدون ذرية لا تعرف من الإسلام الاسم ولا الرسم ، وإن عادوا إلا بلاد المسلمين فيعودون بأفكار حملوها معهم ، فيجدون لهم من أبناء المسلمين منصتين وسامعين ، خاصة وأن التحصن بالعلم النافع في كثير من بلاد المسلمين صار هامشيًا جانبيًا ، وتعلم القرآن ولغته صار في كثير من بلاد المسلمين رجعية وتخلفًا ، وإدخال الكلمات الأجنبية رقيًا وتقدمًا ، فيهدمون من الصدور إيمانًا ، ويزعزون من أعمال الناس كثيرًا مما هو من مسالك المسلمين ، فيؤثرون على كثير من البسطاء والشباب ، ويتركون بذلك شبابًا لا يعرف من الإسلام إلا اسمه ، ولا من الدين إلا رسمه ، فتبقى صورة الإسلام بغير حقائق ، بل سرعان ما تزول الرسوم بعد زوال الحقائق والمعتقدات ، وإن الاحتلال الذي أصاب بلاد المسلمين دخل عليهم ليهز بخبث ومكر معتقداتهم ، فلما اهتزت وضعفت انهارت الصور والأشكال ، فلما قامت امرأة واحدة في جمهرة من النساء بنزع النقاب عن وجهها ، والذي بقي على وجهها قرونًا طويلة تبعها جميع النساء من حولها بنزع النقاب ، بل وداسوه بالأقدام ، فلم سوى أعوام قليلة حتى كشفت الأفخاذ والصدور ، وجسمت الثياب ما لم يُكشَف من مفاتن المرأة ، فلما كان الوجه مستورًا كان البدن كذلك ، فلما كشف الوجه هان كشف بقية البدن .

هذا ، وكلما عظم المسلمون الكافرين وما عندهم أسرعوا فاستوردوا منهم عادات وثقافات أثرت على الناس ، كان من أول ذلك لما ترجمت الفلسفة اليونانية في عهد الدولة العباسية وانبهر بها بعض الرجال ، فحكموها في معتقدهم ، حتى حكموها في أسماء اللّه وصفاته ، فقالوا : رأي السلف أسلم ، ورأي الخلف أعلم وأحكم . وجعلوا ذلك في معتقدهم ، فأولوا كثيرًا من نصوص الشرع ، فضلوا بذلك التأويل .

لذا وجب على المسلم تعلم دينه والإقرار بكماله ، فيستسلم له ، فإذا فعل ذلك التزمه فرفعه رب العزة في الدنيا عزًا وفي الآخرة جنة عرضها السماوات والأرض . واللّه من وراء القصد .

كلمة التحرير

تقديم رئيس التحرير

صفوت الشوادفي

معاشرة..

بقلم العلامة الشيخ / عبد الرحمن بن ناصر السعدي (رحمه اللَّه)

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله .. وبعد :

فهذه كلمات صائبة صادقة بقلم العلامة الشيخ السعدي - رحمه اللَّه - عجز قلمي عن الإتيان بمثلها ، فأقررت بالفضل لأهله ، وآثرت أن أقدمها للقراء الكرام ؛ لينتفع بها من شرح اللَّه صدره ، ويعمل بها من أدركه توفيق اللَّه ، ويستضيء بنورها كل باحث عن الهداية .

قال - رحمه اللَّه -: اعلم أن الناس في معاشرة بعضهم لبعض درجات في الخير والشر ، لا تنضبط .

وأغلب المعاشرات قليلة الجدوى ، عديمة الفائدة ، بل كثير منها مُؤدٍّ إلى الخسران والأضرار الدينية والدنيوية .

ونذكر في هذا الموضع أعلى الأقسام وأنفعها ، وأبقاها ثمرة ، فإن أدركها المؤمن بتوفيق اللَّه وجدِّه واجتهاده ، فقد أدرك كل خير ، وإن لم تَقْوَ نفسه على بلوغها فليجاهدها ، ولو على بعضها ، وهي يسيرة على من يسرها اللَّه عليه .

فأصل ذلك ، أن تعقد عزمًا جازمًا ، وعقيدة صادقة ، على محبة جميع المؤمنين ، والتقرب إلى اللَّه في هذه المحبة ، وتجتهد على تحقيقها على وجه العموم ، وعلى وجه الخصوص ، وعلى قلع كل ما يُضادَّها أو ينقضها ، فتعتقد أن تحقق القلب بمحبة المؤمنين عبادة من أجلِّ العبادات ، وأفضل الطاعات ؛ فتتخذ جميع المؤمنين إخوانًا ، تحبُّ لهم ما تحب لنفسك من الخير ، وتكره لهم ما تكرهه لنفسك من الشر ، وتعقد قلبك في تحقيق هذا الأمر الجليل ، والاتصاف به ، والاحتراز من ضِدِّه ، من الغِلِّ والحقد والحسد والبغض لأحد منهم .

ومتى رأيت من قلبك شيئًا من ذلك ، فبادر بقلْعِه ، وسَلِ اللَّه أن لا يجعل في قلبك غِلاًّ على أحد من المؤمنين ، خاصتهم وعامتهم ، وميِّز من له في الإيمان مقام جليل ، كعلماء المسلمين وعبادهم بزيادة محبة بحسب مقاماتهم ، لتكون موافقًا للَّه في محبته ، وتعاهَدْه ذلك بالتحبب إلى المؤمنين ، بطلاقة الوجه ، وحُسن الخُلق ، والمعاملة الجميلة ، فإنها في نفسها عِبادة ، وهي جالبة لتحقق القلوب بينك وبين المؤمنين بالمودة والرحمة . ووطِّن نفسك على ما ينالك من الناس من أذَى قولِي ، أو أذَى فعلي ، أو معاملة منهم بضد ما عاملتهم به من الإحسان ، فإن توطين النفس على ذلك يسهِّل عليك الأمر ، وتتلقى أذاهم بضده .

المــؤمنيــن

وليكن التقرب إلى اللّه عند ذلك على بالك ، فإن التقربُ إلى اللّه هو الذي يهون عليك هذا الأمر الذي هو شديد على النفس .

واعلم أن هذا الوصف من أوصاف الكُمَّل من أولياء اللّه وأصفيائه ، فبادر للاتّصاف به ، فمن أبغضك وعاداك وهجرك فعامِلْه بضدّ ذلك لتكسب الثواب ، وتكتسب هذا الخُلق الفاضل ، وتتعجل راحة قلبك ، وتخفف عن نفسك همّ المُعاداة ، وربما انقلب العدو صديقًا ، والمبغض محبًّا ، كما هو الواقع .

واعفُ عما صدر منهم للّه ، فإن من عفا عن عباد اللّه ، عفا اللّه عنه ، ومن سامحهم سامحه اللّه ، ومن تفضل عليهم تفضل اللّه عليه ، والجزاء من جنس العمل .

ولينصبغ قلبك كل وقت بالإنابة إلى اللّه ، ومحبة الخير لعباد اللّه ، فإن من كان كذلك فقد تأصّلت في قلبه أصول الخير التي تُؤتي أكلها وثمراتها كل حين بإذن ربها .

وبهذا يكون العبد أوّابًا : ﴿ فإنه كان للأوّابين غفوراً ﴾ [الإسراء : ٢٥] .

وإذا اجتمعت مع الناس ، فخالقهم على حسب درجاتهم : الصغير والكبير ، والشريف والوضيع ، والعالم والجاهل ، كل أحد تكلم معه بالكلام الذي يُناسبه ، ويليق بحاله ، ويُدخل السرور عليه ، وبالكلام الذي له به ميدان ، معلمًا للجاهل ، متعلمًا ممن هو أعرف منك ، متشاورًا مع نظيرك فيما هو الأحسن والأصلح من الأمور الدينية والدنيوية ، آخذًا لخواطرهم ، موافقًا لهم على مطالبهم التي لا محذور فيها ، حريصًا على تأنيسهم وإدخال السرور بكل طريق ، مُضمنًا كلامك لكل أحد ما يناسبه من النصائح التي تنفع الدين والدنيا ، ومن الآداب الجميلة .

وحُثّهم على قيام كل منهم بما هو بصدده من الحقوق التي للّه والتي للخلق ، موضحًا لهم الطرق المسهلة لفعل الخير ، والأسباب الصارفة عن الشر ، واقنع بالقليل إذا عجزت عن الكثير .

واعلم أن قبولهم وانقيادهم مع الرفق والسهولة ، أبلغ بكثير من سلوك طريق الشدة والعنف ، إلا حيث تلجئ الضرورة إلى ذلك ، فللضرورة أحكام .

وصلى اللّه وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه .

أغلب المعاشرات قليلة الجدوى، عديمة الفائدة، بل كثير منها مُؤدٍّ إلى الخسران والأضرار الدينية والدنيوية

باب التفسير

بقلم الشيخ / عبد العظيم بدوي

تعظيم حرمات المسلمين

قال تعالى : ﴿ يأيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارةً عن تراضٍ منكم ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيمًا * ومن يفعل ذلك عدوانًا وظُلمًا فسوف نُصليه نارًا وكان ذلك على الله يسيرًا ﴾ [النساء : ٢٩، ٣٠] .

لما بين الله تعالى ما يحل ويحرم من المناكح أتبعه بذكر ما يحل ويحرم من المكاسب ، ومناسبة هذه الآية لما قبلها أنه سبحانه لما بين ما يحل ويحرم من المناكح ، وأن الحلال منها يبتغى بالمال بيّن طرق كسب المال وما يحل منها وما يحرم ، فقال سبحانه : ﴿ يأيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل ﴾ ؛ يا من صدقتم بالله ورسوله والكتاب الذي نزل على رسوله : ﴿ لا تأكلوا أموالكم ﴾ ؛ أي لا يأكل بعضكم أموال البعض الآخر ، وإنما أضافها إلى النفس لبيان تكافل الأمة في حقوقها ومصالحها ، فمال كل فرد في الأمة مال الأمة كلها ، فيجب على كل فرد المحافظة على مال الآخر واجتناب أكله بالباطل ، والباطل هو كل ما لم يأذن به الله : كالربا ، والرشوة ، والاختلاس ، والخيانة ، والسرقة ، والغصب ، وجَحد الدَّين ، وجَحد الأمانة ، وبيع ما لا يجوز بيعه : كالخمر ، والدخان ، والأصنام ، والصور ، والتماثيل ، والخنزير ، والكلب ، والقط ،

وعسب الفحل ، وحلوان الكاهن ، وسائر المعاملات المحرمة .

ويدخل في الباطل إنفاق العبد مال نفسه في المعاصي ، فكل ذلك من أكل أموال الناس بالباطل ، وهو من الكبائر ، يحرِّم على الآكل الجنة ، ويوجب له النار ، كما قال تعالى : ﴿ ومن يفعل ذلك عدوانًا وظلمًا فسوف نصليه نارًا وكان ذلك على اللَّه يسيرًا ﴾ . وقال النبي ﷺ : « كل جسد نبت من سحت فالنار أولى به »(١) .

وقد أشار اللَّه تعالى إلى أن أكل الطيبات يعين على عمل الصالحات ، فقال : ﴿ يأيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحًا ﴾ [المؤمنون : ٥١]، فجمع بين الأمر بالأكل من الطيبات ، وبين الأمر بالعمل الصالح ، وفُهم منه أن أكل الحرام يعين على فعل الحرام ، فمن أكل حلالاً وتغذى به أعين على فعل الخير ، ومن أكل حرامًا وغُذي به أُعين على فعل الشر ، ولا يزال الرجل يتغذى من الحرام حتى لا يقبل اللَّه منه قولاً ولا عملاً ؛ لأن اللَّه يقول : ﴿ إنما يتقبل اللَّه من المتقين ﴾ [المائدة : ٢٧] ، وقد سئل أحمد عن معنى المتقين ، فقال : يتقي الأشياء فلا يقع فيما لا يحل(٢) .

وقال النبي ﷺ : « إن اللَّه تعالى طيب لا يقبل إلا طيبًا ، وإن اللَّه تعالى أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين ، فقال تعالى : ﴿ يأيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحًا ﴾ ، وقال : ﴿ يأيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم ﴾ [البقرة : ١٧٢] ، ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر ، يمد يديه إلى السماء : يا رب ، يا رب ، ومطعمه حرام ، ومشربه حرام ، وملبسه حرام ، وغُذي بالحرام ، فأنى يُستجاب لذلك »(٣) .

وقال وهب بن الورد : لو قمت مقام هذه السارية لم ينفعك شيء حتى تنظر ما يدخل بطنك حلال أو حرام(٤) .

فاتقوا اللَّه عباد اللَّه : ﴿ ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها إلى الحكام لتأكلوا فريقًا من أموال الناس بالإثم وأنتم تعلمون ﴾ [البقرة : ١٨٨] ، لا تغرنكم الحياة الدنيا ، ولا يلهكم التكاثر ، وتذكروا دائمًا قول اللَّه تعالى : ﴿ قل لا يستوي الخبيث والطيب ولو أعجبك كثرة الخبيث فاتقوا اللَّه يا أولي الألباب لعلكم تفلحون ﴾ [المائدة : ١٠٠] ، واعلموا أن الخبيث في النار ، كما قال تعالى : ﴿ ليميز اللَّه الخبيث من الطيب ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعًا فيجعله في جهنم أولئك هم الخاسرون ﴾ [الأنفال : ٣٧] .

فاتقوا اللَّه في أنفسكم وأولادكم ، واعلموا أن الصبر على الجوع أهون من الصبر على نار جهنم ، فلا تكسبوا من حرام ، ولا تدخلوا بيوتكم شيئًا من حرام ، ولا تطعموا أهليكم شيئًا من حرام ، فمن غُذي بالحرام فالنار أولى به ، وقد أمركم اللَّه تعالى بوقاية أنفسكم وأهليكم من النار ، فقال سبحانه : ﴿ يأيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارًا وقودها الناس والحجارة عليها ملائكةٌ غلاظٌ شدادٌ لا يعصون اللَّه ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ﴾ [التحريم : ٦] .

وقوله تعالى : ﴿ إلا أن تكون تجارة عن تراض

منكم ﴾ معناه : لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل ، وكلوا مما تكسبون من التجارة التي ترضونها وتطيب بها أنفسكم ، فليس عليكم جناح فيما كسبتم منها .

وإنما خصَّ التجارة بالذكر ؛ لأن أكثر أسباب الرزق تتعلق بها ، فإذا برَّ التاجر وصدق كان ربحه من أطيب الأموال ، ولكن الأسواق اليوم تفرض على الناس الكذب والغش والخديعة ، ولذلك كان التجار على خطر عظيم ، حذرهم منه النبي ﷺ ، فقال : « إن التجار هم الفجار » . قيل : يا رسول اللَّه ، أو ليس قد أحل اللَّه البيع ؟ قال : « بلى ، ولكنهم يحدثون فيكذبون ، ويحلفون فيأثمون »(٥) .

ولما كان أكل أموال الناس بالباطل يفضي إلى التشاجر والتقاتل أتبع اللَّه النهي عن أكل الأموال بالباطل بالنهي عن قتل النفس ؛ إذ إن صاحب المال غالبًا ما يحاول الدفاع عن ماله ، وإن أدى ذلك إلى شهر السلاح ، فإذا شُهر السلاح أفضى غالبًا إلى القتل ، ولذلك نهى اللَّه تعالى عن القتل عقب النهي عن أكل أموال الناس بالباطل ، وإنما قدَّم النهي عن أكل الأموال بالباطل ؛ لأنه أكثر وقوعًا وأفشى في الناس من القتل .

ومعنى قوله تعالى : ﴿ ولا تقتلوا ﴾ ؛ أي لا يقتل بعضكم بعضًا ؛ لأن المسلم يجب أن ينزل أخاه المسلم منزلة نفسه ، فيحب له ما يحب لنفسه ، ويكره له ما يكرهه لنفسه ، وهذا كقوله تعالى : ﴿ ولا تلمزوا أنفسكم ﴾ [الحجرات : ١١] ؛ أي لا يعب أحدكم أخاه فيعيبه ، فكأنه عاب نفسه ، ولا يقتل أحدكم أخاه فيُقتل ، فيكون كأنه قتل نفسه .

إن سفك الدماء البريئة بغير حق جريمة نكراء ، جريمة عظيمة عند اللَّه سبحانه ، حتى جاء في الحديث : « لزوال الدنيا أهون على اللَّه من قتل مؤمن بغير حق »(٦) .

وقال ﷺ : « لو أن أهل السماء والأرض اشتركوا في دم مؤمن لكبَّهم اللَّه عز وجل في النار »(٧) .

من أجل ذلك حرَّم الإسلام قتل النفس ، وقرنه بالشرك ، فقال تعالى : ﴿ قل تعالوا أتل ما حرَّم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئًا وبالوالدين إحسانًا ولا تقتلوا أولادكم من إملاقٍ نحن نرزقكم وإياهم ﴾ [الأنعام : ١٥١] ، وقال تعالى : ﴿ والذين لا يدعون مع اللَّه إلهًا آخر ولا يقتلون النفس التي حرَّم اللَّه إلاَّ بالحق ولا يزنون ﴾ [الفرقان : ٦٨] ، وقال النبي ﷺ : « اجتنبوا السبع الموبقات » . قيل : وما هنَّ يا رسول اللَّه ؟ قال : « الشرك باللَّه ، والسحر ، وقتل النفس التي حرَّم اللَّه إلا بالحق »(٨) .

وجعل اللَّه تعالى قتل النفس البريئة بغير حق كقتل الناس جميعًا ، فقال تعالى : ﴿ من أجل ذلك كتبنا على بني إسرائيل أنه من قتل نفسًا بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعًا ﴾ [المائدة : ٣٢] ، وتوعَّد اللَّه تعالى القاتل بأقسى أنواع العقوبة ، فقال سبحانه : ﴿ ومن يفعل ذلك عدوانًا وظلمًا فسوف نصليه نارًا وكان ذلك على اللَّه يسيرًا ﴾ [النساء : ٣٠] ، وقال تعالى : ﴿ ومن يقتل مؤمنًا متعمدًا فجزاؤه جهنم خالدًا فيها

وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابًا عظيمًا ﴾ [النساء : ٩٣] .

تلك هي عقوبة القاتل في الآخرة ، أما عقوبته في الدنيا فهي أن يُقتل كما قتل ، قال تعالى : ﴿ يأيها الذين آمنوا كُتب عليكم القصاص في القتلى ﴾ [البقرة : ١٧٨] .

هذا جزاء من قتل غيره ، فما جزاء من قتل نفسه ؟ ما جزاء الانتحار ؟ ما جزاء الذي يتعجل الموت هربًا من مصيبة أو نكبة أو نازلة ؟ قال ﷺ : ((من تردّى من جبل فقتل نفسه فهو في نار جهنم يتردّى فيها خالدًا مخلدًا فيها أبدًا ، ومن تحسى سمًّا فقتل نفسه فسمه في يده يتحساه في نار جهنم خالدًا مخلدًا فيها أبدًا ، ومن قتل نفسه بحديدة فحديدته في يده يتوجأ بها في بطنه في نار جهنم خالدًا مخلدًا فيها أبدًا))(٩) .

وقال ﷺ : ((كان فيمن كان قبلكم رجلٌ به جرح ، فجزع فأخذ سكينًا فحزّ بها يده ، فما رقأ الدم حتى مات ، قال الله تعالى : بادرني عبدي بنفسه فحرمت عليه الجنة))(١٠) .

وعن جابر أن الطفيل بن عمرو الدوسي لما هاجر النبي ﷺ هاجر إليه ، وهاجر معه رجلٌ من قومه ، فمرض فجزع ، فأخذ مشاقص له ، فقطع بها براجمه ، فشخبت يداه حتى مات ، فرآه الطفيل بن عمرو في منامه وهيئته حسنة ، ورآه مغطيًا يديه ، فقال له : ما صنع بك ربك ؟ فقال : غفر لي بهجرتي إلى نبيه ﷺ ، فقال : ما لي أراك مغطيًا يديك ؟ قال : قيل لي : لن نصلح منك ما أفسدت ، فقصها الطفيل على رسول اللّه ﷺ ، فقال ﷺ : ((اللهم وليديه فاغفر))(١١) .

إذا كان الله أمرنا باحترام أرواح الآخرين ، وأن نعدّها كأرواحنا ، فاحترامنا لأرواحنا يجب أن يكون أولى ، فلا يجوز لمسلم أن يتعدى على نفسه بالقتل هربًا من مصيبة أو نكبة أو نازلة ، فإن المؤمن لا ينقطع رجاؤه في الله ، ولا ييأس من روح الله ، فإن النصر مع الصبر ، وإن الفرج مع الكرب ، و﴿ سيجعل الله بعد عُسْرٍ يسرًا ﴾ [الطلاق : ٧] .

---

(١) ((صحيح الجامع)) : (٤٣٩٥) .

(٢) ((جامع العلوم والحكم)) : (ص٨٧) .

(٣) صحيح ، رواه مسلم : (٢/٧٠٣/١٠١٥) ، والترمذي (٤/٢٨٨/٤٠٧٤) .

(٤) ((جامع العلوم والحكم)) : (ص٨٧) .

(٥) صحيح ، رواه أحمد : (٣/٤٢٨) ، والطحاوي في ((المشكل)) (٣/١٢) ، والحاكم (٢/٦ ، ٧) ، كما في ((الصحيحة)) (٣٦٦) .

(٦) صحيح ، رواه ابن ماجه : (٢/٨٧٤/٢٦١٩) .

(٧) صحيح ، رواه الترمذي : (٤/٤٢٧/١٤١٩) .

(٨) متفق عليه ، رواه البخاري (٥/٣٩٣/٢٧٦٦) ، ومسلم (١/٩٢/٨٩) ، وأبو داود (٨/٧٧/٢٨٥٧) ، والنسائي (٦/٢٥٧) .

(٩) متفق عليه ، رواه البخاري : (١٠/٢٤٧/٥٧٧٨) ، ومسلم (١/١٠٣/١٠٩) ، والترمذي (٣/٢٦٠/٢١١٦) ، والنسائي (٤/٦٧) .

(١٠) متفق عليه ، رواه البخاري : (٦/٤٦٩/٣٤٦٣) ، ومسلم (١/١٠٧/١١٣) .

(١١) صحيح ، رواه مسلم (١/١٠٨/١١٦) .

باب السنة

السواك

أخرج البخاري ومسلم في «صحيحيهما» عن أبي هريرة ، رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك مع كل صلاة» .

السواك سنة مؤكدة من سنن الدين كله ، وليس من سنن الوضوء أو الصلاة فحسب ، يدل على ذلك الأحاديث الكثيرة الواردة فيه الدالة على مواظبة النبي صلى الله عليه وسلم عليه ليلاً ونهارًا ، وقد قام الإجماع على أنه مندوب .

قال الأوزاعي : هو شطر الوضوء ، وهو مستحب في جميع الأوقات .

قال النووي : لكن في خمسة أوقات أشد استحبابًا :

أحدها : عند الصلاة ، سواءً كان متطهرًا بماء ، أو بتراب ، أو غير متطهر ، كمن لا يجد ماءً ولا ترابًا .

الثاني : عند الوضوء .

الثالث : عند قراءة القرآن .

الرابع : عند الاستيقاظ من النوم .

الخامس : عند تغير الفم ، وتغيره يكون بأشياء منها ترك الأكل والشرب ، ومنها أكل ما له رائحة كريهة ، ومنها طول السكوت ، ومنها كثرة الكلام .

قال ابن منظور في «لسان العرب» : الأراك شجر معروف - وهو شجر السواك - يستاك بفروعه .

قال أبو حنيفة : هو أفضل ما استيك بفروعه من الشجر ، وأطيب ما رعته الماشية رائحة لبن .

قال أبو زياد : منه تتخذ هذه المساويك من الفروع والعروق ، وأجوده عند الناس العروق .

فانظر - رعاك الله - يذكر أن أجود السواك ما كان من جذور الأراك .

وفي «دائرة معارف الشباب» : الأراك شجيرة المسواك من الفصيلة الأراكية ، تنبت في وديان الصحاري ، أوراقها متقابلة تكسب لبن الماشية التي تأكلها رائحة طيبة ، ويتخذ من أغصانها وجذورها مساويك .

قال الشوكاني في «نيل الأوطار» : ويستحب أن يستاك بعود من أراك ، وبأي شيء استاك مما يزيل التغير حصل السواك ، كالخرقة الخشنة والأشنان ، وللفقهاء في السواك آداب وهيئات لا ينبغي للفطن الاغترار بشيء منها ، إلا أن يكون موافقًا لما ورد عن الشرع ، ولقد كرهوه في أوقات وعلى حالات ، حتى كاد يفضي ذلك إلى ترك هذه السنة الجليلة وإطراحها ، وهي أمر من أمور الشريعة ظهر ظهور النهار وقبله من سكان البسيطة أهل الأنجاد والأغوار .

بقلم الرئيس العام /

محمد صفوت نور الدين

• من منافع السواك أنه يطيب الفم ، ويشد اللثة ، ويقطع البلغم ، ويجلو البصر ، وينشط للقراءة والذكر والصلاة ، ويرضي الرب سبحانه وتعالى .

يقول شيخ الإسلام : السواك تطييب للفم الذي هو محل الذكر والمناجاة ، وإزالة ما يضر الملائكة من بني آدم ، فإن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم .

ويقول ابن حجر : وإنه لا يختص بالأسنان ، وأنه من باب التنظيف والتطييب لا من باب إزالة القاذورات ؛ لكونه صلى الله عليه وسلم لم يختف به ، وبوبوا عليه (الاستياك بحضرة الرعية) .

وكلام ابن حجر هذا يبين سبب خلاف العلماء في موضعين :

الأول : هل يفضل أن يستاك بيمينه أم بيساره ؟

والثاني : هل يستاك أمام الناس أم يختفي ؟

وذلك أنه لو كان من باب إزالة القذر ، فالأفضل استخدام يسراه ، وذلك ما دافع عنه شيخ الإسلام ابن تيمية ، رحمه الله ، وفصل فيه طويلاً .

ومما قاله : الأفضل أن يستاك باليسرى ، نص عليه الإمام أحمد في رواية ابن منصور ، ذكره عنه في مسائله ، وما علمنا أحدًا من الأئمة خالف في ذلك ، وذلك لأن الاستياك من باب إماطة الأذى ، وذلك باليسرى ، كما أن إزالة النجاسات كالاستجمار ونحوه باليسرى ، وإزالة الأذى واجبها ومستحبها باليسرى ، ثم أخذ يناقش طويلاً ؛ يدلل على تفضيل اليسرى في السواك . [راجع ((مجموع الفتاوى)) جـ٢١ ، ص٢٨، وما بعدها] .

وفي ((الموسوعة الفقهية)) قال : يندب إمساك السواك باليمنى ؛ لحديث عائشة ، رضي الله عنها : كان النبي صلى الله عليه وسلم يعجبه التيامن في تنعله وترجله وطهوره ، وفي شأنه كله .

بينما قال في ((الموسوعة)) أيضًا : لا يستحب الاستياك بحضرة الجماعة ؛ لأنه ينافي المروءة ، ويتجنب الاستياك في المسجد وفي المجالس الحافلة .

أما الشيخ العلامة ابن عثيمين - حفظه الله تعالى - فيقول : الأمر في ذلك واسع ، فيستاك كما يريد ؛ لأنه ليس في المسألة نص واضح ، ثم فصل الأمر على ثلاثة أقوال ، الثالث منها : إن تسوك لتطهير الفم ، كما لو استيقظ من نوم ، أو لإزالة أذى ، فيكون باليد اليسرى ؛ لأنه إزالة الأذى ، وإن تسوك لتحصيل السنة فيكون باليمنى .

هذا ، وما ذكره الشوكاني ونقلناه من أنه يتبع من هذه الأقوال ما قامت عليه الأدلة ، والله أعلم .

وفي الحديث : ((لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم ..)) فيه دليل على أن الأمر للوجوب ، وهو مذهب أكثر الفقهاء وجماعات من المتكلمين وأصحاب الأصول .

يقول القرطبي في ((المفهم)) : أي لأوجبت ذلك عليهم ، عبر بالأمر عن الوجوب ؛ لأنه الظاهر منه ، وهل المندوب مأمور به أو لا ؟ اختلف في ذلك أهل الأصول ، والصحيح أنه مأمور به ؛ لأنه قد اتفق على أنه مطلوب مقتضى ، كما قد حكاه أبو المعالي ، وهذا الحديث نص على أن السواك ليس بواجب .

قال الشافعي في ((الأم)) : السواك ليس بواجب وأنه اختيار ، لو كان واجبًا لأمرهم به شق عليهم أو لم يشق ، واستحب السواك عند كل حال يتغير فيه الفم ، وعند الاستيقاظ من النوم والأزم[1] ، وأكل كل ما يغير الفم وشربه ، وعند الصلوات كلها ، ومن تركه وصلى فلا يعيد صلاته ، ولا يجب عليه وضوء .

وقال الخطابي : السواك غير واجب ، وذلك لأن ((لولا)) كلمة تمنع الشيء لوقوع غيره ، فصار الوجوب بها ممنوعًا ، ولو كان السواك واجبًا لأمر به شق عليهم أو لم يشق ، وفي قوله صلى الله عليه وسلم : ((لولا أن أشق ..)) دليل على شفقة النبي صلى الله عليه وسلم بأمته .

وفي ((زاد المعاد)) : وأصلح ما اتخذ السواك من خشب الأراك ونحوه ، ولا ينبغي أن يؤخذ من شجرة مجهولة ، فربما كانت سمًّا ، وينبغي القصد في استعماله ، فإن بالغ فيه فربما أذهب طلاوة الأسنان وصقالتها ، وهيأها لقبول الأبخرة المتصاعدة من المعدة والأوساخ ، ومتى استعمل باعتدال جلا الأسنان وقوى العمود ، وأطلق اللسان ، ومنع الحفر ، وطيب النكهة ، ونقى الدماغ ، وشهى الطعام .

وأجود ما استعمل مبلولاً بماء الورد ومن أنفعه أصول الجوز .

قال صاحب التيسير : زعموا أنه إذا استاك به المستاك كل خامس من الأيام نقى الرأس ، وصفى الحواس ، وأحدَّ الذهن .

وفي السواك عدة منافع : يطيب الفم ، ويشد اللثة ، ويقطع البلغم ، ويجلو البصر ، ويذهب بالحفر ، ويصح المعدة ، ويصفي الصوت ، ويعين على هضم الطعام ، ويسهل مجاري الكلام ، وينشط للقراءة والذكر والصلاة ، ويطرد النوم ، ويرضي الرب ، ويعجب الملائكة ، ويكثر الحسنات .

ويستحب كل وقت ويتأكد عند الصلاة والوضوء والانتباه من النوم وتغير رائحة الفم .

وفي ((الحاوي)) للماوردي : كان النبي صلى الله عليه وسلم يستاك بالأراك ، فإن تعذر الأراك ، استاك بعراجين النخل ، فإن تعذر عليه استاك بما وجده ، ويختار أن يكون العود الذي يستاك به نديًا ، ولا يكون يابسًا فيجرح ولا رطبًا ، فلا ينقي فلو لف على أصبعه خرقة خشنة ، وأمرَّها على أسنانه حتى زال الصفرة والخلوف ، فقد أتى بسنة السواك ، نص عليه الشافعي ؛ لأنه يقوم مقام العود في الإنقاء ، فأما إذا جلا أسنانه بالحديد أو بردها بالمبرد فمكروه لأمرين :

أحدهما : أنه يذيب الأسنان ويفضي إلى انكسارها .

---

[1] الجوع الطويل .

والثاني : أنها تخشن ، فتتراكم الصفرة والخلوف فيها ، ولذلك لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم الواشرة والمستوشرة ، وهي التي تبرد أسنانها بالمبرد .

❋ **السواك للصائم** :

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ، رحمه الله : السواك للصائم جائز بلا نزاع ، لكن اختلفوا في كراهيته بعد الزوال على قولين مشهورين هما روايتان عن أحمد ، ولم يقم دليل شرعي يصلح أن يخص عمومات نصوص السواك وقياسه على دم الشهيد ونحوه ضعيف من وجوه .

وقال ابن عبد السلام في « قواعده الكبرى » : وقد فضل الشافعي تحمل الصائم مشقة رائحة الخلوف على إزالتها بالسواك ، مستدلين بأن ثوابه أطيب من ريح المسك ، ولا يُوافق الشافعي على ذلك ، إذ لا يلزم من ذكر ثواب العمل أن يكون أفضل من غيره ؛ لأنه لا يلزم من ذكر الفضيلة حصول الرجحان بالأفضلية ، ألا ترى أن الوتر عند الشافعي في قوله الجديد أفضل من ركعتي الفجر مع قوله عليه السلام : « ركعتا الفجر خير من الدنيا وما فيها » . وكم من عبادة قد أثنى الشارع عليها وذكر فضيلتها وغيرها أفضل منها ، وهذا من باب تزاحم المصلحتين اللتين لا يمكن الجمع بينهما ، فإن السواك نوع من التطهر المشروع لأجل الرب سبحانه ؛ لأن مخاطبة العظماء مع طهارة الأفواه تعظيم لا شك فيه ، ولأجله شرع السواك ، وليس في الخلوف تعظيم ولا إجلال ، فكيف يقال : إن فضيلة الخلوف تربو على تعظيم ذي الجلال بتطييب الأفواه - إلى أن قال :- والذي ذكره الشافعي ، رحمه الله ، تخصيص للعام بمجرد الاستدلال المذكور المعارض بما ذكرناه .

يقول ابن القيم : يستحب للمفطر والصائم في كل وقت لعموم الأحاديث فيه ، ولحاجة الصائم إليه ؛ ولأنه مرضاة للرب ، ومرضاته مطلوبة في الصوم أشد من طلبها في الفطر ؛ ولأنه مطهرة للفهم والطهور للصائم من أفضل أعماله .

وأجمع الناس على أن الصائم يتمضمض وجوبًا واستحبابًا ، والمضمضة أبلغ من السواك ، وليس لله غرض في التقرب إليه بالرائحة الكريهة ، ولا هي من جنس ما شرع التعبد به ، وإنما ذكر الخلوف عند الله يوم القيامة حثًا له على الصوم ، لا حثًا على إبقاء الرائحة ، بل الصائم أحوج إلى السواك من المفطر ، وأيضًا فإن رضوان الله أكبر من استطابته لخلوف فم الصائم ، وأيضًا فإن محبته للسواك أعظم من محبته لبقاء خلوف فم الصائم .

وأيضًا فإن السواك لا يمنع طيب الخلوف الذي يزيله السواك عند الله يوم القيامة ، بل يأتي الصائم يوم القيامة وخلوف فمه أطيب من المسك علامة على صيامه ، ولو أزاله بالسواك ، كما أن الجريح يأتي يوم القيامة ولون دم جرحه لون الدم وريحه ريح المسك ، وهو مأمور بإزالته في الدنيا .

وأيضًا فإن الخلوف لا يزول بالسواك ، فإن سببه قائم ، وهو خلو المعدة من الطعام ، وإنما يزول أثره وهو المنعقد على الأسنان واللثة .

وأيضًا فإن النبي صلى الله عليه وسلم علم أمته ما يستحب لهم في الصيام وما يكره لهم ، ولم يجعل السواك من القسم المكروه ، وهو يعلم أنهم يفعلونه ، وقد حضهم عليه بأبلغ ألفاظ العموم والشمول ، وهم يشاهدونه يستاك وهو صائم مرارًا كثيرة تفوق الإحصاء ، ويعلم أنهم يقتدون به ، ولم

يقل لهم يومًا من الدهر : لا تستاكوا بعد الزوال ، وتأخير البيان عن وقت الحاجة ممتنع ، والله أعلم .

❋ **كلمة الأطباء :**

قال د. قلعجي : لقد حرص الطب الإسلامي على صحة الفرد بشكل عام ، وعلى صحة أسنانه ونظافتها بشكل خاص ، وورد عن الرسول المعلم صلى الله عليه وسلم مجموعة أحاديث في طرق العناية بالفم ووسائل طب الأسنان الوقائي ، حتى غدت عناية المسلم بصحة أسنانه ونظافتها عادة يومية ، وسن الرسول صلى الله عليه وسلم فيه المضمضة ثلاث مرات لكل وضوء لنزول رواسب الأطعمة وما خلفته من بقايا ، كذلك حض الحديث على استعمال الفرشاة الطبيعية من نبات دائم الخضرة (الأراك) المتوفر في الجزيرة العربية وبلاد الشام وجنوب الوادي بمصر ، وقد اهتم النبي صلى الله عليه وسلم بتنظيف الأسنان بالسواك ، فقال : « لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك قبل كل صلاة » ، ويمتاز السواك بأنه يتكون كميائيًا من : ألياف السيللوز ، وبعض الزيوت الطيارة ، وبه راتنج عطري ، وأملاح معدنية ، فهو فرشاة طبيعية زُودت بمسحوق مطهر ، كما أنه اقتصادي لأن الفرشاة تهلك بعد شهور ، وهو دائم ؛ لأننا نقلمه .

وقد درس علماء طب الأسنان حديثًا تلك الطبقة البكترية من الأسنان والتي أسموها « DENTAL BLACK » ، والتي لا تصلها شعيرات الفرشاة ، ومنها تبدأ رائحة الفم وأمراض اللثة ، فتبين أن شعيرات السواك تصل إلى هذه الطبقة أيضًا .

❋ **أحاديث وآثار في السواك :** وفي السواك أحاديث صحيحة تربو على المائة ، اخترت منها هذه الأحاديث والآثار التي تبلغ ثلاثين :

١- عن أبي هريرة ، رضي الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك مع كل صلاة » . أخرجه الجماعة ، إلا ابن ماجه .

٢- عن أنس ، رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أكثرت عليكم في السواك » . أخرجه البخاري .

٣- وأخرج البخاري معلقًا بصيغة الجزم عن عائشة ، رضي الله عنها ، عن النبي صلى الله عليه وسلم : « السواك مطهرة للفم ، مرضاة للرب » . وأخرجه أحمد وأبو داود موصولاً ، وفي البخاري ، وقال عطاء وقتادة : يبتلع ريقه .

٤- وأخرج أيضًا عن أبي موسى قال : أقبلت إلى النبي صلى الله عليه وسلم ومعي رجلان من الأشعريين ؛ أحدهما عن يميني ، والآخر عن يساري ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يستاك - حتى قال -: فكأني أنظر إلى سواكه تحت شفتيه قلصت .

٥- وعن حذيفة ، رضي الله عنه ، قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا قام من الليل يشوص فاه بالسواك .

٦- وعن أبي موسى الأشعري ، رضي الله عنه ، قال : أتيت النبي صلى الله عليه وسلم ، فوجدته يستن بسواك بيده يقول : « أع ، أع » ، والسواك في يده كأنه يتهوع .

٧- وعن ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « أراني أتسوك بسواك فجاءني رجلان : أحدهما أكبر من الآخر فناولت السواك الأصغر منهما ، فقيل لي : كبر ، فدفعته إلى الأكبر منهما » .

٨- عن عائشة ، رضي الله عنها ، قالت : دخل عبد الرحمن بن أبي بكر ومعه سواك يستن

به ، فنظر إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقلت له : أعطني هذا السواك يا عبد الرحمن فأعطانيه فقضمته ، ثم مضغته ، فأعطيته رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاستن به وهو مستند إلى صدري – وكان ذلك في مرض موته صلى الله عليه وسلم . رواه البخاري .

٩- قال البخاري : ويذكر أنه كان يستاك وهو صائم ، وقال ابن عمر : يستاك أول النهار وآخره ، وقال عطاء : إن ازداد ريقه لا أقول : يفطر ، وقال ابن سيرين : لا بأس بالسواك الرطب ، قيل : له طعم ، قال : والماء له طعم ، وأنت تمضمض به ، ولم ير أنس والحسن وإبراهيم بالكحل للصائم بأسًا .

١٠- وقال البخاري : ويذكر عن عامر بن ربيعة قال : رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يستاك وهو صائم ما لا أحصي أو أعد .

١١- وأخرج مسلم عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ((غسل يوم الجمعة على كل محتلم وسواك ، ويمس من الطيب ما قدر عليه)) .

١٢- وأخرج مسلم عن عائشة ، رضي الله عنها : كنا نعد له سواكه وطهوره ، فيبعثه الله ما شاء أن يبعثه في الليل فيتسوك ويتوضأ ويصلي تسع ركعات لا يجلس فيها إلا في الثامنة ، فيذكر الله ويحمده ويدعوه ، ثم ينهض ولا يسلم ، ثم يقوم فيصلي التاسعة .

١٣- وأخرج أبو داود عن عائشة ، رضي الله عنها ، كان يبدأ رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دخل بيته بالسواك .

١٤- وأخرج أيضًا عنها قالت : كان النبي صلى الله عليه وسلم يستاك فيعطيني السواك لأغسله ، فأبدأ به ، فأستاك ، ثم أغسله وأدفعه إليه .

١٥- وأخرج عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((عشرة من الفطرة : قص الشارب ، وإعفاء اللحية ، والسواك ، واستنشاق الماء ، وقص الأظفار ، وغسل البراجم ، ونتف الإبط ، وحلق العانة ، وانتقاص الماء)) . قال مصعب : ونسيت العاشرة ، إلا أن تكون المضمضة .

١٦- وأخرج عنها ، رضي الله عنها ، أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يوضع له وضوؤه وسواكه ، فإذا قام من الليل تخلى ، ثم استاك .

١٧- وأخرج عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم كان لا يرقد من ليل ولا نهار فيستيقظ إلا تسوك قبل أن يتوضأ .

١٨- وأخرج عن ابن عباس ، رضي الله عنهما ، قال : بت ليلة عند النبي صلى الله عليه وسلم ، فلما استيقظ من منامه أتى طهوره ، فأخذ سواكه فاستاك .

أما في ((مسند أحمد)) :

١٩- عن زيد بن خالد الجهني مرفوعًا : ((لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة)) . قال : فكان زيد يروح إلى المسجد وسواكه على أذنه بموضع قلم الكاتب ، ما تقام صلاة إلا استاك قبل أن يصلي .

٢٠- عن عامر بن ربيعة قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لا أحصي يستاك وهو صائم . [قال الشيخ أحمد شاكر : صحيح] .

٢١- عن واثلة بن الأسقع قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ((أمرت بالسواك حتى خشيت أن يكتب عليَّ)) . [سنده حسن] .

٢٢- عن ابن عباس ، رضي الله عنهما ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((أمرت بالسواك حتى ظننت ، أو حسبت أن سينزل فيه قرآن)) . وفي رواية : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر السواك قال : حتى ظننا أنه سينزل عليه . [صححه الشيخ أحمد شاكر] .

٢٣- عن ابن عمر ، رضي الله عنهما ، قال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان لا ينام إلا والسواك عنده ، فإذا استيقظ بدأ به . [صححه الشيخ أحمد شاكر ، وحسنه محقق نسخة الرسالة] .

٢٤- عن ابن عمر ، رضي الله عنهما ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ((عليكم بالسواك ، فإنه مطيبة للفم ومرضاة للرب)) . [(١١٧/٢) ، وصححه أحمد شاكر] .

٢٥- عن أبي أمامة ، رضي الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ((ما جاءني جبريل ، عليه السلام ، قط إلا أمرني بالسواك ، لقد خشيت أن أحفي مقدم فيَّ)) . حسنه في تكملة الزين .

وأخرج الطبراني في ((الكبير)) عن أم سلمة مرفوعًا : ((مازال جبريل يوصيني بالسواك حتى خشيت على أضراسي)) .

٢٦- عن ابن عباس ، رضي الله عنهما ، قال : جاء نبي الله رجلان حاجتهما واحدة ، فتكلم أحدهما ، فوجد نبي الله صلى الله عليه وسلم من فيه أخلافًا ، فقال له : ((ألا تستاك ؟)) فقال : إني لأفعل ، ولكني لم أطعم طعامًا منذ ثلاث ، فأمر به رجلاً فآواه ، وقضى له حاجته .

٢٧- عن عبد الله بن عبيد الله بن عمر قال : قلت : رأيت توضؤ ابن عمر لكل صلاة طاهرًا وغير طاهر عمَّ ذاك ؟ فقال : حدثت به أسماء بنت زيد بن الخطاب ، أن عبد الله بن حنظلة بن أبي عامر حدثها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر بالوضوء لكل صلاة أو غير طاهر ، فلما شق ذلك عليه أمر بالسواك لكل صلاة ، فكان ابن عمر يرى : أن به قوة ، فكان لا يدع الوضوء لكل صلاة . [حسنه الألباني وصححه الزين] .

٢٨- وأخرج ابن ماجه عن علي بن أبي طالب ، رضي الله عنه ، قال : إن أفواهكم طرق للقرآن ، فطيبوها بالسواك(١) .

٢٩- وأخرج البزار عن علي بن أبي طالب ، رضي الله عنه ، قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : ((إن العبد إذا تسوك ، ثم قام يصلي ، قام الملك خلفه يسمع لقراءته ، فيدنو منه - أو كلمة بنحوها - حتى يضع فاه على فيه وما يخرج من فيه شيء من القرآن إلا صار في جوف الملك ، فطهروا أفواهكم بالقرآن)) . [قال الألباني : إسناده جيد] .

٣٠- قال الألباني : وما أحسن ما روى الطبراني بإسناد يحتمل التحسين عن عبد الرحمن بن غنم قال : سألت معاذ بن جبل : أأتسوك وأنا صائم ؟ قال : نعم ، قلت : أي النهار أتسوك ؟ قال : أي النهار شئت غدوة أو عشية ، قلت : إن الناس يكرهون عشية ، ويقولون : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ((لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك)) . فقال : سبحان الله ! لقد أمرهم بالسواك وهو يعلم أنه لا بد أن يكون بفي الصائم خلوف وإن استاك ، وما كان بالذي يأمرهم أن ينتنوا أفواههم عمدًا ، وما في

---

(١) ضعيف جدًا ، انظر ((ضعيف الجامع)) (١٤٠١) .

ذلك من الخير شيء ، بل فيه شر ، إلا من ابتلي ببلاء لا يجد منه بدًا ، قلت : والغبار في سبيل الله أيضًا كذلك ، إنما يؤجر من اضطر إليه ولا يجد عنه محيصًا ؟ قال : نعم ، فأما من ألقى بنفسه في البلاء عمدًا فما له في ذلك من أجر . [وقال الحافظ في ((التخليص)) : إسناده جيد] .

وفي كتاب ((المنار المنيف في الصحيح والضعيف)) لابن قيم الجوزية : سئل عن حديث : ((صلاة بسواك أفضل من سبعين صلاة بغير سواك)) . فبعد أن ذكر رواياته وبين ضعفه ، ثم ذكر جملة من الأحاديث الصحيحة في الحث على استخدام السواك وفضله ، قال : وإذا كان هذا شأن السواك وفضله وحصول رضى الرب به وإكثار النبي صلى الله عليه وسلم على الأمة فيه ومبالغته فيه ، حتى عند وفاته وقبض نفسه الكريمة صلى الله عليه وسلم ، لم يمتنع أن تكون الصلاة التي يستاك لها أحب إلى الله من سبعين صلاة ، وإذا كان ثواب السبعين أكثر ، فلا يلزم من كثرة الثواب أن يكون العمل الأكثر ثوابًا أحب إلى الله تعالى من العمل الذي هو أقل منه ، بل قد يكون العمل الأقل أحب إلى الله تعالى ، وإن كان الكثير أكثر ثوابًا .

ثم أخذ في ضرب الأمثلة للعمل الأحب منها : ذبح الشاة الواحدة يوم النحر أحب من الصدقة بأضعاف ثمنها ، وإن كثر ثواب الصدقة ، وقراءة سورة بتدبر ومعرفة وتفهم وجمع القلب عليها أحب إلى الله تعالى من قراءة ختمة سردًا .

حتى قال : والعمل الأحسن هو الأخلص والأصوب ، وهو الموافق لمرضاته ومحبته ، دون الأكثر الخالي من ذلك ، فهو سبحانه وتعالى يحب أن يتعبد له بالأرضى له ، وإن كان قليلاً دون الأكثر الذي لا يرضيه ، والأكثر الذي غيره أرضى له منه ، ولهذا يكون العملان في الصورة الواحدة ، وبينهما في الفضل أعظم مما بين السماء والأرض ، وهذا الفضل يكون بحسب رضى الرب سبحانه بالعمل وقبوله له ومحبته وفرحه به سبحانه وتعالى .

ثم قال : ولهذا كان القبول مختلفًا بحسب رضى الله سبحانه بالعمل ، فقبوله يوجب رضى الله سبحانه وتعالى بالعمل ومباهاة الملائكة به وتقريب عبده منه - ثم ذكر أمثلة هامة ، وقال بعدها -: ولا تلتفت إلى ما يقول من غلظ حجاب قلبه من المتكلمين والمتكلفين : إنه يجوز أن يكون العملان متساويين في جميع الوجوه ، لا تفاضل بينهما ، ويثيب الله على أحدهما أضعاف أضعاف ما يثيب على الآخر ، بل يجوز أن يثيب على هذا أو يعاتب على هذا ، مع فرض الاستواء بينهما من كل وجه ، وهذا قول من ليس له فقه في أسماء الرب وصفاته وأفعاله في شرعه وأمره ، ولا فقه في أعمال القلوب وحقائق الإيمان ، وبالله التوفيق .

إذا عرفت ذلك ؛ فلا يمتنع أن تكون الصلاة التي فعلها فاعلها على وجه الكمال حتى أتى بسواكها الذي هو مطهرة لمجاري القرآن ، وذكر لله ، ومرضاة للرب ، واتباع للسنة والحرص على حفظ هذه الحرمة الواحدة التي أكثر النفوس تهملها ولا تلتفت إليها ، حتى كأنها غير مشروعة ولا محبوبة ، لكن هذا المصلي اعتادها فحافظ عليها وأتى بها تودداً وتحببًا إلى الله تعالى ، واتباعًا لسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، فلا يبعد أن تكون صلاة هذا أحب إلى الله من سبعين صلاة تجردت عن ذلك ، والله أعلم .

خلق الإنسان في القرآن الكريم

كتبه / مصطفى عبد الجواد محمد
عضو جماعة أنصار السنة المحمدية

أذاع التلفاز المصري مساء الاثنين ١٨/٥/١٩٩٨ م برنامج (العلم والإيمان) ، الذي يعده ويقدمه الدكتور / مصطفى محمود ، وكان عنوان البرنامج هو (إنسان الغابة) ، وقد قدم له الدكتور بشرح الأسس التي قامت عليها نظرية (دارون) في النشوء والترقي ، ثم عرض فلمًا لحيوان الغابة الضخم المسمى بإنسان الغابة ، وعقب انتهاء عرض الفيلم علق عليه بالآتي :

إن دارون محق في نظريته ؛ من أن خلق الإنسان جاء نتيجة تطور حيوانات ، ويعتبر إنسان الغابة أقرب الحيوانات شبهًا بالإنسان ، ولكن دارون أخطأ ، إذ نسب هذا التطور إلى الطبيعة وقوانينها ، ولكن هذا التطور في الحقيقة بفعل قوى خارجية يقصد بها قوى اللّه سبحانه وتعالى ، لذلك فإنه من الأفضل والأصح تسميتها تطويرًا لا تطورًا .

وقبل أن نناقش ما قاله تفصيلاً أود أن أوضح أن هناك ضوابط الالتزام بها عند مناقشة أي نظرية علمية تظهر ، ومعرفة موقف الدين الإسلامي منها ، وهي :

١- أن القرآن الكريم كتاب دين وهداية للبشرية يخرجها من الظلمات إلى النور ، ويحقق لها سعادة الدنيا والآخرة ، وليس كتاب فيزياء أو كيمياء أو أحياء ، ولذلك أشار إلى الآيات الكونية وألمح إليها دون التعرض إلى تفاصيلها لتكون دليلاً على قدرته سبحانه ووحدانيته .

٢- إن القرآن الكريم يحكم على النظريات العلمية ولا تحكم هي عليه ؛ لأنه تنزيل من خالق الكون العليم الحكيم العظيم ، فما وافق منها أجيزت ، فهو يقبل التصديق ، وما لا يوافقه فهو مردود .

٣- إن القرآن الكريم نزل في قوم أميين وبلغتهم وخاطبهم على قدر عقولهم وليس بنظريات ظهرت في القرون المتأخرة .

٤- ليس من الإسلام تفسير الآيات القرآنية بما يوافق النظريات العلمية ، دون الرجوع إلى التفاسير المعتمدة التي توضح المعاني السليمة التي تقصدها الآيات ، كما أنه ليس من الإسلام رفض ما تدل عليه هذه الآيات دون دليل شرعي .

٥- يجب ضم الآيات التي تتناول موضوعًا معينًا إلى بعضها حتى يستقيم المعنى .

بعد ذلك نورد الآيات القرآنية التي ذكرت خلق الإنسان وهي على سبيل المثال لا الحصر ، وذلك عملاً بقول اللّه تعالى : ﴿ فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى اللّه والرسول إن كنتم تؤمنون باللّه واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلاً ﴾ [النساء : ٥٩] ؛ أي ردوه إلى كتاب اللّه تعالى وسنة رسوله ﷺ .

أ- قول اللّه تعالى عن نفسه في سورة « السجدة » : ﴿ الذي أحسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الإنسان من طين ﴾ [السجدة : ٧] .

الأول : إن بداية خلق الإنسان من طين ، والخلق هو الإيجاد من عدم ؛ أي أنه عند بداية خلق الإنسان من طين لم يكن قبله أي من الكائنات التي تطورت إلى إنسان كما يزعم دارون ومن ينحو نحوه ويسير على منواله .

الثاني : أن خلق اللّه تعالى كله حسن ، فالإنسان خلقه حسن فيما خلق له من حمل الأمانة التي أشفقت منها السماوات والأرض ، وكذلك خلق ما يسمى بإنسان الغابة حسن في التعامل مع البيئة المحيطة به ؛ لأن اللّه تعالى أعطى كل شيء خلقه ثم هدى ، فكل ميسر لما خلق له .

ب- يقول اللّه تعالى في سورة الانفطار : ﴿ يأيها الإنسان ما غرك بربك الكريم ۝ الذي خلقك فسواك فعدلك ۝ في أي صورةٍ ما شاء ركبك ﴾ [الانفطار : ٦- ٨] .

ويفهم من هذه الآية الكريمة أن الخلق والتسوية والعدل كان في موقف واحد ؛ ولذلك استخدمت الآية حرف الفاء الذي يفيد التتابع ، وليس كما يدعي الدكتور / مصطفى محمود من أن الإنسان خلق يمشي على أربع ووجهه إلى الأرض ، ثم بعد ذلك أقامه اللّه تعالى وجعله يمشي على رجلين ووجهه إلى أعلى ، إذ لو كان الأمر كما يدعي الدكتور لاستخدمت الآية كلمة (ثم) التي تفيد التراخي ؛ أي الخلق ، ثم التسوية ، ثم العدل .

يقول ابن كثير في تفسير هذه الآية (ج٣ ص٦١١) : أي جعلك - يعني الإنسان - سويًا مستقيمًا معتدل القامة ، فنصبها في أحسن الهيئات والأشكال .

جـ- يقول اللّه تعالى لإبليس لما استكبر عن السجود لآدم كما فعلت الملائكة في سورة ((ص)) : ﴿ قال يا إبليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي أستكبرت أم كنت من العالين ۝ قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين ﴾ [ص : ٧٥، ٧٦] .

ورغم وضوح هذه الآية الكريمة في أن خلق آدم أبي البشر تم بيدي اللّه تعالى ، إلا أن الدكتور / مصطفى محمود رفض هذا الأمر بدون دليل شرعي ؛ لأنه خالف هوى في نفسه ويهدم نظرية (دارون) من أساسها .

وإليك تفسير ابن كثير لهذه الآية (ج٣ ص٢٠٩) : أعلم اللّه سبحانه وتعالى الملائكة قبل خلق آدم ، عليه السلام ، بأنه سيخلق بشرًا من صلصال من حمأ مسنون ، وتقدم إليهم بالأمر متى فرغ من خلقه وتسويته ، فليسجدوا له إكرامًا وإعظامًا واحترامًا وامتثالاً لأمر اللّه عز وجل ، فامتثل الملائكة كلهم سوى إبليس ، لم يكن منهم جنسًا كان من الجن ، فاستنكف عن السجود لآدم .

د- يقول اللّه تعالى في سورة ((نوح)) - حاكيًا عن موقف نوح ، عليه السلام ، مع قومه -: ﴿ ما لكم لا ترجون للّه وقارًا ۝ وقد خلقكم أطوارًا ﴾ [نوح : ١٣، ١٤] ، وهذه الأطوار هي المذكورة في سورة ((المؤمنون)) - والتي سيرد ذكرها فيما بعد - والتي تتعلق بأطوار الجنين في بطن أمه ، إذ من التفسير السليم للقرآن الكريم أن تضم الآيات التي تخص موضوعًا معينًا إلى بعضها البعض ليستقيم المعنى .

وقد رفض الدكتور / مصطفى محمود هذا التفسير السليم بدون دليل شرعي ، وراح يرد أن هذه الأطوار هي ما ذكره أستاذه (دارون) .

والغريب في الأمر أن نوحًا ، عليه السلام ، كان يذكر قومه بقوة اللّه وعظمته التي يجب أن يخافوها ، ودلل على ذلك بما أوحى اللّه تعالى إليه من النظر في عظمة اللّه تعالى التي تتجلى في خلق النطفة المهينة بشرًا سويًا قويًا ، فكيف يقال : أنه يذكرهم بنظرية ظهرت في القرون المتأخرة ، ولم يعلم عنها نوح شيئًا ، ألا يكون التذكير بشيء يعرفونه أدعى إلى استجابة قومه لدعوته .

يقول ابن كثير في تفسير هذه الآية (جـ٣ ص٥٥٣) : ما لكم لا ترجون للّه وقارًا : أي عظمة ، قال ابن عباس : لم لا تعظمون اللّه حق عظمته ؛ أي لا تخافون بأسه ونقمته ، وقد خلقكم أطوارًا ، قيل

معناه من نطفة ، ثم من علقة ، ثم من مضغة . قاله ابن عباس وقتادة .

هـ- يقول الله تعالى في سورة ((النور)) : ﴿ والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمشي على بطنه ومنهم من يمشي على رجلين ومنهم من يمشي على أربع يخلق الله ما يشاء إن الله على كل شيء قدير ﴾ [النور : ٤٥] .

ولما كان الخلق هو الإيجاد من عدم ، فإن كل صنف من هذه المخلوقات خلق مستقلاً عن الآخر ؛ لأن كلمة : ﴿ كل ﴾ تفيد الانفصال والاستقلال ، كأن تقول : أعطيت كل تلميذ في الفصل قلمًا ؛ أي أعطيت كل واحد منهم قلمًا مستقلاً عن قلم الآخر ، وبعد أن يذكر الله تعالى هذه المخلوقات يقول سبحانه : ﴿ يخلق ما يشاء ﴾ ؛ أي يوجد من العدم ما لم يكن موجودًا من قبل ما يشاء من المخلوقات ؛ لأنه سبحانه القادر على كل شيء .

يقول ابن كثير في تفسير هذه الآية (جـ٢ ص٦١٣) : يذكر تعالى قدرته التامة وسلطانه العظيم في خلق أنواع المخلوقات على اختلاف أشكالها وأنواعها وحركاتها وسكناتها من ماء واحد ، فمنهم من يمشي على بطنه كالحية وما شاكلها ، ومنهم من يمشي على رجلين كالإنسان والطير ، ومنهم من يمشي على أربع كالأنعام وسائر الحيوانات ، ولهذا قال يخلق الله ما يشاء : أي بقدرته ؛ لأنه ما شاء كان ، وما لم يشأ لم يكن ، ولهذا قال : ﴿ إن الله على كل شيء قدير ﴾ .

و- يقول الله تعالى في سورة ((المؤمنون)) : ﴿ ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ۞ ثم جلعناه نطفةً في قرار مكين ۞ ثم خلقنا النطفة علقةً فخلقنا العلقة مضغةً فخلقنا المضغة عظامًا فكسونا العظام لحمًا ثم أنشأناه خلقًا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين ﴾ [المؤمنون : ١٢-١٤] ، ويقول في سورة الزمر : ﴿ يخلقكم في بطون أمهاتكم خلقًا من بعد خلق في ظلمات ثلاث ﴾ [الزمر : ٦] .

تفيد الأطوار التي تمر بها النطفة حتى تصير خلقًا آخر مستقلاً وهو الطفل ، وهذه الأطوار هي التي ذكر نوح ، عليه السلام ، بها قومه حتى يوقروا الله تبارك وتعالى ويعظموه .

وإن الله تعالى خلق الإنسان في صورته التي هو عليها منذ بدء الخليقة ، وأمرنا أن نتدبر ما في أنفسنا من آيات تدل على قدرته وعظمته ، فقال : ﴿ وفي أنفسكم أفلا تبصرون ﴾ [الذاريات : ٢١] .

كما أن سلالة الإنسان تنحدر إلى الطين الذي خلق الله تعالى منه آدم ، عليه السلام ، بيديه ، ونفخ فيه من روحه وأسجد له ملائكته .

قال رسول الله ﷺ : ((إن الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض ، فجاء بنو آدم على قدر الأرض ، جاء منهم الأحمر والأبيض والأسود ، وبين ذلك ، والخبيث والطيب ، وبين ذلك)) . أخرجه أحمد وأبو داود والترمذي وقال : حسن صحيح .

أفبعد هذه الآيات البينات يقول قائل مسلم بنظرية (دارون) في النشوء والارتقاء ؟!

وقد حاول الدكتور / مصطفى محمود أن يصحح الاعتقاد الخاطئ الذي اعتقده (دارون) من أن هذا التطور بفعل قوانين الطبيعة ، فقال : إن التطور تم بفعل قوى خارجية ، هي قوة الله تبارك وتعالى ؛ ولذلك رأى أنه من الأفضل تسمية هذا التطور بالتطوير .

وهكذا أراد الدكتور أن يخرج من كفر التطور فوقع في ضلال التطوير ، ذلك لأن التطوير يكون لشيء خلق ناقصًا لا يؤدي الوظيفة التي خلق من أجلها فاستلزم الأمر تطويره ليتناسب مع هذه الوظيفة الموكل بها ، وهذا لا يجوز في حق الله تعالى ؛ لأن الله تعالى : ﴿ أحسن كل شيء خلقه ﴾ ، وأنه ﴿ أحسن الخالقين ﴾ ، وأنه ﴿ أعطى كل شيء خلقه ثم هدى ﴾ ، وأنه ﴿ الذي خلق فسوى وقدر فهدى ﴾ .

وكل منا يرى في هذا الكون هذه الآيات متمثلة في أصغر المخلوقات وأضخمها ، فما من خلق من خلق اللّه تعالى إلا زوده اللّه بالأدوات التي تساعده على أداء مهمته التي خلق من أجلها بكل سهولة ويسر ، فكل ميسر لما خلق له .

يقول اللّه تعالى في سورة ((الملك)) : ﴿ تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير ❁ الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملاً وهو العزيز الغفور ❁ الذي خلق سبع سموات طباقًا ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور ❁ ثم ارجع البصر كرتين ينقلب إليك البصر خاسئًا وهو حسير ﴾ [الملك : ١- ٤] .

ثم نأتي إلى الملاحظات الظاهرية والتشريحية التي أسس (دارون) عليها نظريته في النشوء والارتقاء وهي التشابه بين الإنسان وغيره من الحيوانات في شكل اليد وعدد أصابعها وأعضاء الجهاز الهضمي والبولي والتناسلي .

إنه من المعروف أن الإنسان تشابه مع دواب الأرض في كثير من الخصال كالأكل والشرب وإخراج الفضلات والشهوة الجنسية ، وليست هذه الخصال هي التي تميزه عن هذه الدواب ، وهذه الخصال معترف بها علميًا ، فكان لممارستها أن تكون الأدوات التي يستعملها الإنسان والدواب الأخرى متشابهة كالفم والأسنان وأعضاء الجهاز الهضمي والبولي والتناسلي سواء للذكر أم للأنثى .

ولكن الذي يميز الإنسان عن المخلوقات الأخرى هو العقل الذي هو مناط التكليف ، ولذلك فإن الإنسان الذي لا يستعمل عقله في تدبر آيات اللّه الكونية وآياته القرآنية يصير كالأنعام كما قال تعالى عن الغافلين عن آياته : ﴿ أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون ﴾ [الأنعام : ١٧٩] .

ويقول عنهم في سورة ((محمد)) : ﴿ والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام والنار مثوى لهم ﴾ [محمد : ١٢] .

ألا ترى أن اللّه تعالى يقول في سورة ((الأعلى)) : ﴿ سبح اسم ربك الأعلى ❁ الذي خلق فسوى ❁ والذي قدر فهدى ﴾ [الأعلى : ١- ٣] ، ويقول في سورة ((طه)) : ﴿ ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى ﴾ [طه : ٥٠] .

لقد كانت هذه الآية الكريمة هي الآية المعنوية التي أرسل بها موسى ، عليه السلام ، إلى فرعون ، إلى جانب الآيات المادية كالعصى واليد ، فقد أمر اللّه تعالى بدعوة فرعون إلى الإيمان باللّه تعالى ، وهو في ذلك الوقت أكفر وأطغى من على الأرض ، فقال اللّه تعالى لموسى ، عليه السلام : ﴿ فقولا له قولاً لينًا لعله يتذكر أو يخشى ﴾ [طه : ٤٤] ، فلما جاءه موسى قال له فرعون : ﴿ فمن ربكما يا موسى ﴾ [طه : ٤٩] ، قال موسى : ﴿ ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى ﴾ ، لو أن فرعون وعى ما تدل عليه هذه الآية آنذاك ، لعلم أن لهذا الكون رب يديره عظيم قدير عليم حكيم .

وهذه الآية نفسها هي الرد الرادع لفرعون هذا العصر الذي يدعي نظرية النشوء والارتقاء ، إذ لو نظر في الكون بعين الاعتبار لاستفاد وأفاد ، ولكنه نظر إليه نظرة مادية فضل وأضل .

هذا ، ومن المثير للدهشة أن الدكتور / مصطفى محمود لا يزال يتمسك بنظرية النشوء والارتقاء لدارون رغم أن الجامعات في إنجلترا - كما نشرت إحدى المجلات المصورة التي تصدر في مصر - قد أصدرت بيانًا أعلنت فيه أن نظرية دارون - العالم اليهودي الإنجليزي - نظرية قابلة للمناقشة وليست هي الأساس في بيان نشأة الإنسان ، وإنما يرجع في ذلك إلى الكتب الدينية ، واعتبارها الركيزة الأساسية في هذه القضية .

ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا ، وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب .

واللّه من وراء القصد ، وصلى اللّه على نبينا محمد وعلى آله أجمعين .

أسئلة القراء

عن الأحاديث

يجيب عليها :

فضيلة الشيخ :

أبي إسحاق الحويني

● ● يسأل القارئ : وليد الريدي - مركز أشمون - محافظة المنوفية :

يقول : سمعت شيخًا ذائع الصيت يقول في أحد المساجد : إن حديث الذبابة مكذوب على النبي ﷺ ، ووصفه بأنه حديث مقزز ، مع أني أعلم أن أهل العلم صححوه ، وقد جادلت أحد الناس بعد هذه المحاضرة ، فقالوا : إن كلام الشيخ مقنعٌ ، فاتفقنا على أن أرسل السؤال إلى مجلة التوحيد ، راجين أن تبسطوا الكلام عن صحة الحديث ؟

● **والجواب بحول الملك الوهاب** : اعلم أيها السائل أن من تكلَّم في غير فنِّه أتى بمثل هذه العجائب ، ويرحم الله ابن حبان إذ نقل قولاً ساقطًا عن بعض الناس في مقدمة كتابه « المجروحين » (١٧/١) ، ثم ردَّ عليه قائلاً : (لو تملَّق قائل هذا القول إلى باريه في الخلوة وسأله التوفيق لإصابة الحق لكان أولى به من الخوض فيما ليس من صناعته) ، والذين طعنوا على الحديث لا يعلمون شيئًا عن شرائط نقل الأخبار ، ولا عن قوانين الرواية ، لذلك فكلامهم ذلك ساقط ؛ لأن العقلاء اتفقوا أن يُرجع في كل علم إلى أهله والمتخصصين فيه ، ولا يتكلم في تصحيح الأخبار وتضعيفها إلاَّ أهلُ الحديث وحدهم دون غيرهم ، وهاك حاصل الكلام في إثبات صحة الحديث ، فاعلم أنه قد روى هذا الحديث ثلاثةٌ من الصحابة هم : أبو هريرة ، وأبو سعيد الخدري ، وأنس بن مالك ، رضي الله عنهم .

أولاً : حديث أبي هريرة ، رضي الله عنه ، وله عنه طرقٌ :

١- عبيد بن حُنين ، عنه . أخرجه البخاري (٣٥٩/٦ و٢٥٠/١٠) ، وابنُ ماجه (٣٥٠٥) ، والدارمي (٩٩/٢) ، وأحمد (٣٩٨/٢) ، وابن المنذر في « الأوسط » (٢٨١/١) ، والطحاوي في « المشكل » (٢٨٣/٤) ، وابنُ عبد البر في « التمهيد » - (٣٣٧/١) ، والبيهقي (٢٥٢/١) ، والبغوي في « شرح السنة » (٢٥٩/١١ ، ٢٦٠) ، ولفظه عند البخاري : « إذا وقع الذباب في شراب أحدكم فليغمسه ، ثم لينزعه ، فإن في إحدى جناحيه داء والأخرى شفاء » .

عزاه ابن القيم ، رحمه الله ، في « زاد المعاد » (٢٠٩/٣) لمسلم ، فوهم .

٢- سعيد بن أبي سعيد

المقبري ، عنه . أخرجه أبو داود (٣٨٤٤) ، وأحمد (٣/٢٢٩، ٢٤٦) ، وابن خزيمة (ج١/ رقم ١٠٥) ، وابن حبان (١٢٤٣، ٥٢٢٦) ، والطحاوي في ((المشكل)) (٢٨٣) ، والحسن بن عرفة في ((جزئه)) (٢١) ، وعنه البيهقي (١/٢٥٢) ، والخطيب في ((التلخيص)) (ق ٦٩/٢) ، والذهبي في ((السير)) (٦/٣٢٢) من طريق محمد بن عجلان ، عن سعيد بن أبي سعيد ، عن أبي هريرة مرفوعًا : ((إذا وقع الذباب في إناء أحدكم ، فإنّ في أحد جناحيه داءً وفي الآخر شفاءً ، وإنه يتقي جناحه الذي فيه الداء ، فليغمسه كلَّه)) .

قال الذهبي : (هذا الحديث حسنُ الإسناد) . اهـ . ورواه عن ابن عجلان هكذا : (بشر بن المفضل ، وسفيان بن عيينة) ، وخالفهما يحيى بن أيوب ، فرواه عن محمد بن عجلان أن القعقاع بن حكيم أخبره عن أبي صالحٍ ، عن أبي هريرة مرفوعًا مثله .

أخرجه الطحاوي في ((المشكل)) (٤/٢٨٣) من طريق إسماعيل بن مرزوق ، أنا يحيى بن أيوب .

قال الدارقطني في ((العلل)) (ج٣/ ق٣٣/١) : (ولعله - يعني : ابن عجلان - حفظه عنهما) . اهـ .

وقد توبع ابن عجلان على الوجه الأول . تابعه إبراهيم بن الفضل ، عن سعيد المقبري ، عن أبي هريرة به . أخرجه أحمد (٢/٤٤٣) قال : حدثنا وكيع ، عن إبراهيم ، وإبراهيم بن الفضل ضعيفٌ ، بل هو أقرب إلى الترك .

وأما الوجه الثاني ؛ فتوبع يحيى بن أيوب ، تابعه الليث بن سعد ، فرواه محمد بن عجلان ، عن القعقاع بن حكيم ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة به .

أخرجه أحمد (٢/٣٤٠ قال : حدثنا يونس ، ثنا ليث . وأخرجه أبو عمرو السمرقندي في ((الفوائد المنتقاة)) (ق٧٠/١) من طريق آدم بن أبي إياس ، ثنا الليث بن سعدٍ به . وتابعه أيضًا الدراورديُّ ، عن ابن عجلان به . أخرجه أبو محمد الفاكهي في ((حديث يحيى بن أبي مسرة عن شيوخه)) (ج٢/ ق١٥١/١) قال : حدثني يحيى بن محمد الجاري ، أنا عبد العزيز الدراوردي ، فهو كما قال الدارقطني أن ابن عجلان رواه على الوجهين معًا ، وإن كان الوجه الثاني أقوى . والله أعلم .

٣- محمد بن سيرين ، عنه .

أخرجه السهمي في ((تاريخ جرجان)) (٨٥، ٨٦) من طريق محمد بن حميد الرازي ، حدثنا مهران بن أبي عمر ، عن سفيان الثوري ، عن هشام ، عن ابن سيرين ، عن أبي هريرة مرفوعًا : ((إذا وقع الذباب في المرق ، فاغمسوه فيها ، فإن شفاءً في أحد جناحيه ، وفي الآخر سُمًّا)) . وسنده ضعيف جدًّا ، ومهران بن أبي عمر قال فيه ابنُ معين : (كان عنده غلط كثير في حديث سفيان) . ووثقه مرة ، وكذلك وثقه أبو حاتم الرازي وابن حبان ، ولينه النسائي ، وأمَّا محمد بن حميد الرازي فهو واهٍ ، والحمل عليه أولى ، ولكن له طريق آخر أخرجه الخطيب في ((الموضح)) (٢/٣٧٥) من طريق محمد بن الوليد البُسري ، حدثنا محمد بن مروان ، حدثنا هشام بن حسان بسنده سواء ، والبُسرى ثقةٌ ، ومحمد بن مروان إما أن يكون الباهلي أو العجلي ، وكلاهما صدوق ، في حفظه مقالٌ خفيف ، فالسند جيدٌ .

وله طريق آخر إلى ابن سيرين . أخرجه أحمد (٢/٣٥٥، ٣٨٨) ، والطحاوي في ((المشكل)) (٤/٢٨٣) ، من طريق حماد بن سلمة بن حبيب بن الشهيد ، عن محمد بن سيرين به . وهذا سندٌ صحيحٌ على شرط مسلمٍ .

وأخرجه الطبرانيُّ في ((الأوسط)) (ج١/ ق١٣٥/١) من طريق أبي عمر الضرير ، قال :

حدثنا حماد بن سلمة عن أيوب وحبيب وهشام ، عن محمد بن سيرين ، عن أبي هريرة مرفوعًا به .

وأخرجه الطبرانيُّ أيضًا في « الأوسط » (ج١/ ق ١/١٧٠) أيضًا من طريق إبراهيم بن الحجاج السامي ، قال : نا حماد بن سلمة ، عن حبيب وهشام وحميد ، عن ابن سيرين بسنده سواء . وقال الطبراني : (لم يروه عن حماد بن سلمة ، عن حميد إلاَّ إبراهيم بن الحجاج السامي) .

وأخرجه الطحاوي عن مرجَّى بن رجاء الحافظ ، عن هشام بن حسان بسنده سواء .

٤- ثمامة بن عبد اللَّه بن أنس ، عنه . أخرجه أحمد (٢٦٣/٢، ٣٥٥، ٣٨٨) ، والدارميُّ (٩٩/٢) ، وإسحاق بن راهويه في « مسنده » (١٢٥) ، والطحاوي (٢٨٣/٤) من طريق حماد بن سلمة ، عن ثمامة به ، واختلف في إسناده ، فرواه سهل بن حماد أبو عتاب الدلال ، عن عبد اللَّه بن المثنى ، عن ثمامة ، عن أنس مرفوعًا فذكره . ذكره ابنُ أبي حاتم في « العلل » (ج١/ رقم ٤٦) ، وقال : (أبي وأبو زرعة جميعًا : رواه حماد بن سلمة ، عن ثمامة بن عبد اللَّه ، عن أبي هريرة . قال أبو زرعة : وهذا الصحيحُ . وقال أبي : هذا أشبه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ ، ولزم أبو عتاب الطريق ، فقال : عن عبد اللَّه ، عن ثمامة ، عن أنس . وقال أبو زرعة : هذا حديث عبد اللَّه بن المثنى أخطأ فيه عبد اللَّه ، والصحيحُ : ثمامة عن أبي هريرة) . اهـ .

وكذلك قال الدارقطني في « العلل » (١/٣٩/٣) مرجحًا حديث حماد بن سلمة .

● **قُلْتُ** : وبعد ترجيح طريق حماد بن سلمة نقول : إنه ضعيفٌ ، وذلك لأن ثمامة لم يدرك أبا هريرة كما قال المزي في « التهذيب » .

٥- قيس بن خالد بن حسن ، عن أبي هريرة . أخرجه ابنُ أبي حاتم في « العلل » (ج١/ رقم ٧٩) قال : سمعت أبي وحدثنا عن محمد بن إكليل ،عن إسماعيل بن عياش ، عن ثعلبة بن مسلم ، عن قيس بن خالد بن حسن ، عن أبي هريرة مرفوعًا ، فقال أبي : هذا حديث مضطرب الإسناد . اهـ .

وقوله : (محمد بن إكليل) خطأ ، صوابه عندي : (محمد بن الخليل) ، وهو محمد بن الخليل بن حماد الدمشقي ؛ وهو صدوقٌ . أما قيس بن خالد فلم أجد له ترجمة ، ثم راجعت نسخة « أحمد الثالث » من « علل ابن أبي حاتم » (ق ٢/٩) لعلَّ الاسم تصحَّف في « المطبوعة » ، فوجدته : (قيس بن خالد بن جبير أو حنين) . فاللَّه أعلم .

ثانيًا : حديث أبي سعيد الخدري ، رضي اللَّه عنه . أخرجه النسائي (١٧٨/٧، ١٧٩) ، وفي « الكبرى » (٨٨/٣) ، وابنُ ماجه (٣٥٠٤) ، وأحمد (٢٤/٣، ٦٧) ، والطيالسي (٢١٨٨) ، وعبد بن حميد في « المنتخب » (٨٨٤) ، وأبو يعلى (ج٢/ رقم ٩٨٦) ، وابنُ حبان (١٣٥٥) ، وفي « الثقات » (١٠٢/٢) ، والبيهقي (٢٥٣/١) ، والطحاوي في « المشكل » (٢٨٢/٤) ، وابن عبد البر في « التمهيد » (٣٣٧/١) ، والبغوي في « شرح السنة » (٢٦١/١١) ، والمزي في « التهذيب » (٤٠٧/١٠) من طرق عن ابن أبي ذئب ، عن سعيد بن خالد قال : دخلتُ على أبي سلمة فأتانا بزبد وكتلة - وهو خليط من التمر والطحين - فأسقط ذبابٌ في الطعام ، فجعل أبو سلمة يمقُله بأصبعه فيه ، فقلتُ : يا خالُ ، ماذا تصنع ؟ فقال : إن أبا سعيد الخدري حدثني عن رسول اللَّه ﷺ قال : « إن أحد جناحي الذباب سم ، والآخر شفاء ، فإذا وقع في الطعام ، فامقلوه ، فإنه يقدم السم ، ويؤخر الشفاء » . وهو عند بعضهم دون القصة ، وسنده قويٌّ . وسعيد بن خالد وثقه النسائيُّ ، وابن حبان ، وقال

الدارقطني : (يحتج به) ، ولم يثبت عن النسائي تضعيفه . واللّه أعلم .

ثالثًا : حديث أنسٍ ، رضي اللّه عنه . أخرجه الطبراني في « الأوسط » (ج١/ ق١٥٤/٢) من طريق عمرو بن هاشم أبو مالك الجنبي ، عن عباد بن منصور ، عن عبد اللّه بن المثنى ، عن أنس بن مالك مرفوعًا : « إذا وقع الذباب في إناء أحدكم فليغمسه ، فإن في أحد جناحيه سمًّا ، والآخر شفاء » .

قال الطبراني : (لم يرو هذا الحديث عن عبادٍ ، إلاَّ عمرو) . اهـ . وهو لينُ الحديث ، وقد خولف فيه عباد ، خالفه أبو عتاب الدلال سهل بن حماد ، ثنا عبد اللّه بن المثنى ، عن ثمامة ، عن أنس مرفوعًا ، فزاد « ثمامة » في الإسناد . أخرجه البزار (ج٣/ رقم ٢٨٦٦) ، حدثنا زياد بن يحيى ومحمد بن معمر قالا : حدثنا أبو عتاب . وأخرجه الضياء في « المختارة » (١٨٣٥) من طريق يحيى بن صاعد ثنا محمد بن معمر بسنده سواء . قال البزار : (لا نعلمه يروى عن أنس إلا بهذا الإسناد) . وهو متعقب برواية الطبراني السابقة . ورواية أبي عتاب الدلال أقوى .

وقال شيخنا في « الصحيحة » : (إسناده صحيحٌ) ، وقد اختلف فيه كما يأتي إن شاء اللّه ، وعباد بن منصور ضعيفٌ ، ولكن خولف فيه سهل بن حماد على نحو ما مرَّ ذكره في « حديث أبي هريرة » ، أمَّا الهيثميُّ فجرى على ظاهر السند فقال (٣٨/٥) : (رجاله رجال الصحيح) .

فقد ثبت بهذا التخريج والتحقيق أن الحديث في غاية الصحة ، ولا مطعن فيه ، والحمد للّه رب العالمين .

● ● ويسأل القارئ : العربي محمود – كفر الدوار – محافظة البحيرة :

عن درجة هذا الحديث : « ما من مسلم يُصرع صرعةً من مرض إلاَّ بعث منها طاهرًا » .

● والجواب : **أن هذا الحديث صحيحٌ** .

أخرجه ابنُ أبي الدنيا في « المرض والكفارات » (٢٣) ، والطبراني في « الكبير » (ج٨/ رقم ٧٤٨٥) ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (ج٧/ رقم ٩٩٢٢) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (ج٧/ ق٣٧، ٣٨) من طريق خالد بن يزيد ، عن سالم بن عبد اللّه المحاربي ، عن سليمان بن حبيب المحاربي ، عن أبي أمامة الباهلي مرفوعًا به ، وعزاه السيوطي ، كما في « فيض القدير » (٤٨٧/٥) للضياء المقدسي في « المختارة » ، قال المنذري في « الترغيب » (٢٩٨/٤) : (رواته ثقات) . وكذلك قال الهيثمي في « المجمع » (٣٠٢/٢) ، ولكن نقل المناوي في « فيض القدير » (٤٨٨/٥) عن الهيثمي أنه قال : (فيه سالم بن عبد اللّه النجاري الشامي ، لم أجد من ذكره ، وبقية رجاله ثقات) .

● **قُلْتُ** : وقوله : (البخاري) لعله تصحيف من النساخ ، وصوابه (المحاربي) ، ولعله تصحف على الهيثمي ؛ لذلك قال : (لم أجد من ذكره) ، مع أن ابن أبي حاتم ذكره في « الجرح والتعديل » (١٨٥/١/٢) ، ونقل عن أبيه أنه قال : (صالح الحديث) ، ونقل ابن عساكر توثيقه عن آخرين .

والحمد للّه رب العالمين .

الفتاوى

إعدد لجنة الفتوى بالمركز العام

رئيس اللجنة / محمد صفوت نور الدين

من لم يستطع الزاد والراحلة فليس عليه حج ويُرجى له الأجر

● ● **يسأل : محمود إبراهيم كرات - العجوزين - كفر الشيخ :**

عمن يسافر للعمرة في رمضان بنية أن يبقى للحج متواريًا ؛ لأنه يخالف النظام المعمول به ، فهل هذا الحج صحيح ؟ وهل يتساوى في ثوابه مع من يدفع التكاليف العالية لأداء فريضة الحج في وقتها ؟

● **والجواب :** من فعل هذا فحجه صحيح شرعًا ، وإن كان يقع في الإثم ، وذلك لأن :

أولاً : اللَّه تعالى جعل الحج فرضًا على المستطيع ، والاستطاعة الزاد والراحلة ، فمن لم يستطع تلك النفقات فلا حج عليه ، ويرجى له الأجر ، إن خلصت نيته في أداء الحج عند الاستطاعة وإن لم يؤده بالفعل .

ثانيًا : الحج عبادة مالية بدنية ، وقد قال النبي ﷺ لعائشة في الحج والعمرة : ((أجرك على قدر نفقتك)) . فكلما عظمت النفقة بغير إسراف كلما عظم الأجر .

ثالثًا : قد كلف اللَّه الأمة المسلمة بتأمين البيت لقوله تعالى : ﴿ ومن دخله كان آمنًا ﴾ [آل عمران : ٩٧] ، فمن تولى سلطان هذه البقاع وجب عليه تأمين الحجاج ، والمعتمرين ، فإذا كلف بذلك فإنه يضع النظم واللوائح التي تؤمن الحجيج ، ومنها بقاء الحجاج أو خروجهم ومدة إقامتهم ، فمن خالف ذلك وقع في الإثم ، واللَّه أعلم .

يجوز المسح على الخفين بشروط !!

● ● **ويسأل : محمد أحمد عامر :**

عن حديث المغيرة بن شعبة في المسح على الجوربين والموقين ، وحكم المسح على الجوربين ؟

● **والجواب :** أن حديث المسح على الخفين أخرجه عن المغيرة بن شعبة البخاري ومسلم ، ومن رواياته عن رسول اللَّه ﷺ أنه خرج لحاجته فاتبعه المغيرة بإدواة فيها ماء ، فصب عليه حين فرغ من حاجته ، فتوضأ ومسح على الخفين .

أما حديث المسح على الجوربين من رواية المغيرة بن شعبة ، فلقد جاء بسند صحيح عنه في سنن أبي داود .

أعضاء اللجنة

صفوت الشوادفي   د . جمال المراكبي

قال أبو داود : والمعروف عن المغيرة أن النبي ﷺ مسح على الخفين ، قال أبو داود : وروى أيضًا عن أبي موسى الأشعري عن النبي ﷺ أنه مسح على الجوربين ، وليس بالمتصل ولا بالقوي ، ولكن قال الألباني : حسن .

ثم قال أبو داود : ومسح على الجوربين علي بن أبي طالب ، وأبو مسعود ، والبراء بن عازب ، وأنس بن مالك ، وأبو أمامة ، وسهل بن سعد ، وعمر بن حريث . وروي ذلك عن عمر بن الخطاب وابن عباس .

قال الألباني : صحيح . عن أبي مسعود والبراء وأنس ، وحسن عن أبي أمامة .

وفي « المغني » : قال أحمد : يذكر المسح على الجوربين عن سبعة أو ثمانية من أصحاب رسول الله ﷺ ، وقال ابن المنذر : ويروى إباحة المسح على الجوربين عن تسعة من أصحاب رسول الله ﷺ ، ثم عدهم . اشترك مع أبي داود في خمسة وزاد عليهم : عمارًا ، وابن عمر ، وبلالاً ، وابن أبي أوفى .

وكل هذا يدل على جواز المسح على الجوربين ، وإن كان من الفقهاء من اشترط شروطًا للجوربين من كونهماثخينين ، وأن يثبت بنفسه ، يعني لا يسقط بمتابعة المشي عليه . والله أعلم .

من ظلم معاهدا أو انتقصه حقه فأنا حجيجه يوم القيامة !!

● ● ويسأل : سيد عبد المطلب علي :

عن حديث : *« من آذى نصرانيًا أو ذميًا كنت خصمه يوم القيامة »* ؟

● والجواب : أن هذا الحديث أورده الألباني - حفظه الله تعالى - في « غاية المرام » برقم (٤٦٩) حديث : « من آذى ذميًا فقد آذاني ، ومن آذاني فقد آذى الله » . وقال : لا أصل له بهذا اللفظ .

وبرقم (٤٧٠) حديث : « من آذى ذميًا فأنا خصمه ، ومن كنت خصمه يوم القيامة .. » . وقال : منكر .

وبرقم (٤٧١) : « من ظلم معاهدًا أو انتقصه حقًا أو كلفه فوق طاقته أو أخذ منه شيئًا بغير طيب نفس منه ، فأنا حجيجه يوم القيامة » . وقال : حديث حسن أخرجه أبو داود .

● ● ويسأل الأخ السائل :

هل خطأ ابن تيمية عليًا ، رضي الله عنه ، في مواضع كثيرة لمخالفته نص الكتاب ؟

● **والجواب** : أن ما ذكره شيخ الإسلام ، رحمه الله ، في كتاب « منهاج السنة » كان من الرد على الشيعة في تنقصهم لأصحاب النبي ﷺ ، وأن ما استدركوه على بعض الصحابة ومنهم معاوية كان مثله عن علي بن أبي طالب ، وذلك ليس معناه التنقص من علي ، بل هو دفاع عن الصحابة ، بمعنى أنه إذا كنتم لا تقولون أن ذلك ينقص من قدر علي بن أبي طالب ، وهو الخليفة الراشد والمبشر بالجنة ، فكذلك لا ينقص من غيره من الصحابة ، ومن قرأ ذلك فليتنبه لما ذكر على سبيل الدفاع وإقامة الحجة على الخصم ، وليحذر أن يفهم من ذلك تنقص علي ، فهو أكمل من معاوية وعمرو بن العاص ، رضي الله عنهم جميعًا .

إذا اتصل الدم بالولاده فحكمه حكم الحيض والنفاس بالنسبة للحامل. وعليها أن تدع الصوم والصلاة ويعتزلها زوجها

● ● ويسأل : محمد ليوان - الكاميرون :

عن المرأة الحامل ترى الدم قبل ولادتها بيوم أو بيومين في الصيام ؟

● **والجواب** : تدع الصوم والصلاة ، ويعتزلها زوجها . وتقضي الصوم إن كان فريضة ، وفي ذلك يقول ابن رشد في بداية « المجتهد » :

اختلف الفقهاء قديمًا وحديثًا : هل الدم الذي ترى الحامل هو حيض أم استحاضة ؟ فذهب مالك والشافعي في أصح قوليه وغيرهما إلى أن الحامل تحيض ، وذهب أبو حنيفة وأحمد والنووي وغيرهم إلى أن الحامل لا تحيض ، وأن الدم الظاهر لها دم فساد وعلة ، إلا أن يصيبها الطلق فإنهم أجمعوا على أنه دم نفاس ، وأن حكمه حكم الحيض في منعه الصلاة وغير ذلك من الأحكام . على هذا فجمهور الفقهاء على أنه إذا اتصل بالولادة فحكمه حكم الحيض والنفاس .

هذه الأيام الخمسة طهر تصلي فيها وتصوم !!

● ● كما يسأل : *عن الحامل رأت الدم عشرين يومًا ، ثم رأت شيئًا أبيض فقط ، ثم بعد خمسة أيام رأت الدم مرة أخرى ؟*

● **والجواب** : أن هذه الأيام الخمسة طهر تصلي فيها وتصوم ، فإذا جاء الدم قبل مضي الأربعين يومًا امتنعت عن الصلاة والصوم ؛ لأنه إما دم نفاس تقطع ، أو أنه حيض جديد . والله أعلم .

يستحب الختان للصبي يوم سابعه

● ● ويسأل أيضًا :

عن وقت ختان الصبي ؟

● **والجواب** : أن بعض أهل العلم استحب الختان في يوم سابعه ، وبعضهم لم يستحبه فيه ، مخالفة لليهود ، وقال ابن المنذر : ليس في باب الختان نهي يثبت ، ولا لوقته حد يرجع إليه ، ولا سنة تتبع ، والأشياء على الإباحة ، ولا يجوز حظر شيء منها إلا بحجة ، ولا نعلم مع من منع أن يختن الصبي لسبعة أيام حجة . (انتهى) .

ولكن كل ذلك إنما يعني أن يختن صبيًا ، قال في « الموسوعة الفقهية » : ويستحب ختانه في الصغر

إلى سن التمييز ؛ لأنه أرفق به ؛ ولأنه أسرع برءًا فينشأ على أكمل الأحوال .

التلفظ بالنية بدعة ، وشرب الدخان معصية !!

● ● أما السائل : عيد جمعة صبيح – شمال سيناء :

فكتب رسالة طيبة في البدع والمحدثات وردها والطرق التي تضل الناس عن الطريق الصواب ، ويسأل عن الصلاة خلف الإمام الذي يتلفظ بالنية ويشرب الدخان ؟

● **والجواب** : أن التلفظ بالنية بدعة ، وشرب الدخان معصية يدعى صاحبها إلى التوبة منهما ، وإن كان هو الإمام الراتب ، أو أم الناس بإذن من الإمام الراتب ، فلا تترك الصلاة خلفه .

ينبغي مساعدة تلك الفتاة لتخرج من ذلك البيت الذي لا يقيم الصلاة !!

● ● ويسأل أيضًا :

هل يجوز العقد على فتاة تصلي وتطيع الله ، ووالدها لا يصلي سوى الجمعة ؟

● **والجواب** : أن هذه الفتاة المسلمة ذات الدين ينبغي على المسلمين مساعدتها لتخرج من ذلك البيت الذي لا يقيم الصلاة ، فالعقد عليها صحيح ، بل ويثاب من يقصد الزواج منها لدينها .

يجب طاعة الوالد فيما ليس فيه معصية !!

● ● كما يسأل :

هل أطيع والدي الذي لا يصلي الفجر ، ويقيم حلقة الذكر والبدع ؟

● **والجواب** : أن الله سبحانه قال : ﴿ وإن جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفا ﴾ [لقمان : ١٥] . فما ذكرته لا يمنع من طاعتهما في الأوامر التي ليس فيها لله معصية ، والله أعلم .

على المسئولين في البلاد الإسلامية ألا يتركوا أسواق البورصة في بلادهم حرة التعامل !!

● ● ويسأل : م . م . أ – شنشور – منوفية :

عن أعمال البورصة من الناحية الإسلامية ؟

● وللجواب عن ذلك نورد خلاصة البحث الذي أعدته اللجنة الدائمة للبحوث العلمية ونشرته مجلة البحوث الإسلامية بالرياض بتصرف يسير .

أولاً : أصل معنى كلمة (البورصة) : كيس النقود ، ثم استعملت في المكان الذي يجتمع فيه تجار مدينة وصيارفتها وسماسرتها تحت رعاية حكومة في ساعات محددة للمضاربة في السلع التجارية والأسواق الآجلة للعملات الأجنبية ، وفي الأوراق المالية (الأسهم والسندات) .

نشأت في رومانيا ، ثم كانت في فرنسا في منتصف القرن السادس الميلادي تقريبًا ، ثم انتشرت في الدول وتطورت ، حتى انتهت إلى ما هي عليه اليوم .

وبهذا يعلم أنها :

أ- مضاربة في السلع التجارية .

ب- مضاربة في العملات الأجنبية .

جـ- مضاربة في الأوراق (الأسهم والسندات) ، والسهم : حصة لشخص تمثل جزءًا شائعًا في رأس مال شركة أهلية أو هيئة حكومية يستحقها مقابل مبلغ يدفعه للاستثمار في مشروع .

والسند : صك بمبلغ لشخص أقرضه لشركة مساهمة أو هيئة حكومية بفائدة عائدة تقدر بنسبة مئوية ثابتة من هذا المبلغ .

ثانيًا : أن تقلب الأسعار في هذه الأسواق ارتفاعًا وانخفاضًا مفاجئًا وغير مفاجئ بحدة وغير حدة ، لا يخضع لمجرد اختلاف حالات العرض والطلب ، بل يخضع لعوامل أخرى مفتعلة ، فإن السياسة النقدية أو المالية للحكومات ذات العملة الرئيسية - الدولارات ، الإسترليني - التي تفرضها هذه الحكومات من خلال بنوكها المركزية ومؤسساتها النقدية تؤثر كثيرًا على تقلب أسعار العملات بين الدول وعلى اقتصادها ، أضف إلى ذلك قوة السياسة المالية والحكومية وبنوكها على إنشاء نقد ما ، ويسري ذلك إلى عملات أخرى من خلال التبادل الدولي الكبير للسلع والخدمات .

وبذلك يعلم ما في أنواع البورصة من غرر فاحش ومخاطرة بالغة وأضرار فادحة قد تنتهي بمن يخوض غمارها من التجار العاديين ومن في حكمهم إلى الإفلاس ، وهذا ما لا تقره شريعة الإسلام ، ولا ترضاه ، فإنها شريعة العدل والرحمة والإحسان .

ثالثًا : إن كثيرًا مما ذكر في البورصة من المضاربات في السلع والأوراق المالية في بيع كالئ بكالئ ؛ دين بدين ، وصرف آخر فيه أحد العوضين وكلاهما ممنوع بالنص والإجماع .

رابعًا : إن كثيرًا مما ذكر في البورصة من المضاربات في السلع بيع للشيء قبل قبضه ، وهو منهي عنه .

خامسًا : إن هذه الأسواق متوفرة في الدول الغربية ، فالاستثمار فيها يترتب عليه نقل الثروة من البلاد الأخرى التي يسكنها المستثمر إلى الدول الغربية التي تقع فيها تلك الأسواق ، مع أن بلاد المستثمر في أشد الحاجة إليها ، وقد تكون النتيجة نقل مدخرات المسلمين واستثمارها في بلاد غير إسلامية ، وفي هذا من الضرر والخطر ما فيه ، فعلى ولاة أمور المسلمين حماية شعوبهم من المغامرات في هذه الأسواق ، حفاظًا على دينهم ، وحماية لثروتهم ، والله الموفق .

جاء في قرار المجمع الفقهي بشأن البورصة ما يلي :

أولاً : إن غاية السوق المالية (البورصة) هي إيجاد سوق مستمرة ودائمة يتلاقى فيها العرض والطلب والمتعاملون بيعًا وشراءً ، وهذا أمر جيد ومفيد ويمنع استغلال المحترفين للغافلين والمسترسلين الذين يحتاجون إلى بيع أو شراء ولا يعرفون حقيقة الأسعار ، ولا يعرفون المحتاج إلى البيع ومن هو محتاج إلى الشراء ، ولكن هذه المصلحة يواكبها في الأسواق المذكورة (البورصة) أنواع من الصفقات المحظورة شرعًا والمغامرة والاستغلال وأكل أموال الناس بالباطل . ولذلك لا يمكن إعطاء حكم شرعي عام بشأنها ، بل يجب بيان

حكم المعاملات التي تجري فيها كل واحدة منها على حدة .

ثانيًا : إن العقود العاجلة على السلع الحاضرة الموجودة في ملك البائع التي يجري فيها القبض - فيما يشترط له القبض في مجلس العقد شرعًا - هي عقود جائزة ما لم تكن عقودًا على محرم شرعًا ، أما إذا لم يكن المبيع في ملك البائع فيجب أن تتوافر فيه شروط بيع السلم ، ثم لا يجوز للمشتري بعد ذلك بيعه قبل قبضه .

ثالثًا : إن العقود العاجلة على أسهم الشركات والمؤسسات ، حيث تكوت تلك الأسهم في ملك البائع جائزة شرعًا ما لم تكن تلك الشركات أو المؤسسات موضوع تعاملها محرم شرعًا كشركات البنوك الربوبية وشركات الخمور ، فحينئذ يحرم التعاقد على أسهمها بيعًا وشراءً .

رابعًا : إن العقود العاجلة والآجلة على سندات القروض بفائدة بمختلف أنواعها غير جائزة شرعًا ؛ لأنها معاملات تجري بالربا المحرم .

خامسًا : إن العقود الآجلة بأنواعها التي تجري على المكشوف ، أي على الأسهم والسلع التي ليست في ملك البائع ، بالكيفية التي تجري في السوق المالية (البورصة) غير جائزة شرعًا ؛ لأنها تشمل على بيع الشخص ما لا يملك ، اعتمادًا على أنه سيشتريه فيما بعد ويسلمه في الموعد ، وهذا منهي عنه شرعًا لما صح عن رسول الله ﷺ أنه قال : ((لا تبع ما ليس عندك)) .

وكذلك ما رواه الإمام أحمد وأبو داود بإسناد صحيح عن زيد بن ثابت ، رضي الله عنه ، أن النبي ﷺ نهى أن تباع السلع حيث تبتاع ، حتى يحوزها التجار إلى رحالهم .

سادسًا : ليست العقود الآجلة في السوق المالية (البورصة) من قبيل بيع السلم الجائز في الشريعة الإسلامية ، وذلك للفرق بينهما من وجهين :

أ- في السوق المالية (البورصة) لا يدفع الثمن في العقود الآجلة في مجلس العقد ، وإنما يؤجل دفع الثمن إلى موعد التصفية ، بينما الثمن في بيع السلم يجب أن يدفع في مجلس العقد .

ب- في السوق المالية (البورصة) تباع السلعة المتعاقد عليها وهي في ذمة البائع الأول ، وقبل أن يحوزها المشتري الأول عده بيوعات ، وليس الغرض من ذلك إلا تحويل أو دفع فروق الأسعار بين البائعين والمشترين غير الفعليين مخاطرة منهم على الكسب الحرام ، كالمقامرة سواءً بسواء ، بينما لا يجوز بيع المبيع في عقد السلم قبل قبضه .

وبناء على ما تقدم يرى المجمع الفقهي أنه يجب على المسئولين في البلاد الإسلامية ألا يتركوا أسواق البورصة في بلادهم حرة التعامل كيف تشاء في عقود وصفقات ، سواء كانت جائزة أم محرمة ، وألا يتركوا للمتلاعبين بالأسعار فيها أن يفعلوا ما يشاءون ، بل يوجبوا فيها مراعاة الطرق المشروعة في الصفقات التي تعقد فيها ، ويمنعوا العقود غير الجائزة شرعًا ، ليحولوا دون التلاعب الذي يجر إلى الكوارث المالية ويخرب الاقتصاد العام ، ويلحق النكبات بالكثيرين ؛ لأن الخير كل الخير في التزام طرق الشريعة الإسلامية في كل شيء : قال الله تعالى : ﴿ وأن هذا صراطي مستقيمًا فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون ﴾ [الأنعام : ١٥٣] . والله سبحانه هو ولي الذين آمنوا ، والهادي إلى سواء السبيل . وصلى الله على سيدنا ونبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

بيان من اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء :

عن حكم الزواج المدني

الحمد للّه والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه .. وبعد :

فإن اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء في المملكة العربية السعودية نظرت في البيانات الصادرة عن المجلس الشرعي الإسلامي الأعلى في لبنان وعن مجلس المفتين برئاسة سماحة مفتي الجمهورية اللبنانية الشيخ محمد رشيد قباني المتضمنة : رفض مشروع قانون الأحوال الشخصية الاختياري (نظام الزواج المدني) الصادر عن رئاسة الجمهورية اللبنانية لما يتضمنه هذا المشروع من أمور كثيرة مخالفة للشريعة الإسلامية ، بل وللشرائع السماوية كلها ، حيث يسمح للمسلمة أن تتزوج بغير المسلم ، وللأخ أن يتزوج أخته من الرضاع ، ولا يسمح للرجل بالطلاق ، ولا يجعل اختلاف الدين مانعًا من التوارث بين الزوجين ، ويمنع من تعدد الزوجات ، إضافة إلى أنه لا يرجع في هذا العقد إلى حكم الشرع ، وإنما يرجع فيه إلى القانون المدني .

وبناءً على ذلك فإن اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والافتاء في المملكة العربية السعودية تؤيد ما صدر عن المجلس الشرعي الإسلامي الأعلى وعن مجلس المفتين في لبنان من رفض هذا القانون وإبطاله شرعًا ، وتحذر المسلمين منه ؛ لأنه قانون مخالف للشريعة الإسلامية ، فلا يترتب عليه شيء من أحكام الزواج الشرعي من حل الوطء والتوارث وإلحاق الأولاد . وغير ذلك . وباللّه التوفيق ، وصلى اللّه وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه .

عضو
عبدالله بن عبدالرحمن الغديان

عضو
بكر بن عبدالله أبوزيد

نائب الرئيس
عبدالعزيز بن عبدالله بن محمد آل الشيخ

الرئيس
عبدالعزيز بن عبدالله بن باز

صالح بن فوزان الفوزان

إلى مغرور

بقلم / محمد عبد الحكيم القاضي

المنيا

يا راجي اللذة الدنيا ألم تتب   ولم تزل بعد عن سوءٍ وعن كذب
قضيت ماضيك المعقلَ في ثبتةٍ   أو واثبٌ لدني العيش مقترب
أو واثِبٌ لخصال كي تُحصِّلَها   فترتقي المرتقى الأعلى من السبب
بل ، إنما هي للمسجيٍّ في ظلمٍ   وللمعرى عن التقوى وعن قرب
فلا تُنادِ - لذى ترحالةٍ - عمرًا   أضعته فى طُلاَبِ العيش والنشب
بكيت ؛ لا خائفًا من يوم تهلُكةٍ   لكن لأنك لم يعطوك في الذهب
أضَحِكْتَ تغررك السماء مدكرًا   لذائذ الرّاح في دنٍّ وفي نُخُبِ
أردت ما أنت فيه اليوم من ترفٍ   وكان ما فيه أنت اليوم من حسب
وليس نافع من أبطا به عمل   طرَّادةُ المال أو نسابَةُ العرب
وإنما العزُ - لو أنصفتَ - في طلبٍ   لخالد العيش ، يا نُعماه من طلب !
وإنما السبقُ - لو أنصفت - مرتقبٌ   لحامل المسك ، لا حمَّالةِ الحطب
إذا تولت بعيس المرء رفقته   فإنَّ خبرته في الصحب لم تطب

وقفات مع أنبياء الله

باب السيرة

يوسف عليه السلام في السجن

المشهد الثاني

تأويل الرؤى

بقلم الشيخ / عبد الرازق السيد عيد

الحمد لله الذي يعلم ما تحمل كل أنثى وما تغيض الأرحام وما تزداد ، وكل شيء عنده بمقدار ، عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال . أما بعد :

فقد وقفنا بك أيها القارئ الكريم في لقائنا السابق عند دخول يوسف ، عليه السلام السجن ، ولقائه بصاحبيه هناك ، ودعوتهما إلى دين الله الحق .

ومما ذكرنا أن السجن ظاهره العذاب ، لكن الله جعله طريقًا لتمكين يوسف ، عليه السلام ، في أرض مصر ، وبسط سلطانه على خزائنها وأهلها ، بل وملكها أيضًا ؛ ذلك لأن الله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون .

وأيضًا رأينا في اللقاء السابق كيف ظهرت مواهب يوسف ، عليه السلام ، في الدعوة إلى الله ، وكيف استفاد من الموقف بحكمة ولطف ، فبدأ بتقديم الأهم لصاحبيه ، بل الأهم لأهل الأرض قاطبةً ، ألا وهو إصلاح الاعتقاد في الله واليوم الآخر ، فذلك أصل كل خير ، ومصدر كل سعادة في الدنيا والآخرة ، ثم بعد ذلك أخذ يوسف ، عليه السلام ، في الإجابة على سؤال صاحبيه وتأويل رؤيتيهما ، وهنا يصل الحديث إلى وقفتنا اليوم ، والتي ستكون - بعون الله - كما يلي :

● **أولاً : تأويل ما رأى صاحباه في السجن :**

قال تعالى : ﴿ يا صاحبي السجن أمَّا أحدكما فيسقي ربَّه خمرًا وأما الآخر فيُصلب فتأكل الطير من رأسه قُضي الأمر الذي فيه تستفتيان ﴾ [يوسف : ٤١] .

أخذ يوسف ، عليه السلام ، في تأويل ما رأى صاحباه ، فقال : أما أحدكما فسينجو من السجن ، ويصبح ساقيًا للملك ، وأما الآخر فسوف يموت صلبًا ، وقدم خبر الناجي أولاً ، ثم عقب بعد ذكر خبر

الثاني بقوله : ﴿ قضي الأمر الذي فيه تستفتيان ﴾ ؛ حتى لا يدع مجالاً للنقاش أو للشك فيما قال .

● **ثانيًا : مشروعية الأخذ بالأسباب وعدم منافاته للتوكل :**

قال تعالى : ﴿ وقال للذي ظنّ أنه ناجٍ منهما اذكرني عند ربك فأنساه الشيطان ذكر ربِّه فلبث في السجن بضع سنين ﴾ [يوسف : ٤٢] .

قال يوسف ، عليه السلام ، للفتى الذي ظنه ناجيًا منهما : ﴿ اذكرني عند ربك ﴾ ؛ أي عند الملك ، اذكر أمر دخولي السجن بغير ذنب عند الملك ، لعله يحقق الأمر ويتبين وجه الصواب فيه ، وليس في هذا ما يناقض التوكل بحال من الأحوال كما توهم البعض ؛ لأن يوسف ، عليه السلام ، كان من الموحدين بشهادة رب العالمين ؛ حيث مرّ بنا قوله تعالى في وصف يوسف ، عليه السلام : ﴿ إنه من عبادنا المُخْلَصِينَ ﴾ [يوسف : ٢٤] ، والإخلاص هو أصل التوحيد ، ويوسف ، عليه السلام ، هو الذي دعا إلى التوحيد عندما دخل السجن - وقد مرّ بنا ذلك أيضًا - ومنه قوله : ﴿ إن الحكم إلاّ للّه أمر ألا تعبدوا إلا إياه ﴾ [يوسف : ٤٠] .

ويوسف هو الذي استعصم عندما طُلبت الفاحشة منه وقال : ﴿ معاذ اللّه ﴾ ، فيوسف ، عليه السلام ، موحدٌ ولم يكن من المشركين ؛ لأن التوكل على غير اللّه شرك ، ويوسف ، عليه السلام ، لم يكن مشركًا لا في عبادته ، ولا في توكله ، بل قد توكل على اللّه في فعل نفسه - هو - فقال : ﴿ وإلا تصرف عني كيدهنّ أصبُ إليهنّ وأكن من الجاهلين ﴾ [يوسف : ٣٣] ، هذا توكل يوسف ، عليه السلام ، على اللّه في فعل نفسه ، فكيف لا يتوكل على اللّه في فعل غيره ؟ (فعل نفسه هو امتناعه عن الفاحشة ، وفعل غيره ما طلبه من الفتى) .

فلم يكن قول يوسف للفتى : ﴿ اذكرني عند ربك ﴾ مناقضًا للتوكل ، وليس فيه إلا مجرد إخبار الملك بحاله ، فهو قد أخذ بالأسباب وتوكل علىٰ رب الأرباب ، ثم إن يوسف ، عليه السلام ، لم يتعجل خروجه من السجن ، بل كان من أثبت الناس عند المحن ، ومنها السجن ، والدليل على ذلك أنه لم يخرج من السجن بمجرد صدور أمر الملك بذلك وإرساله من يستدعي يوسف ، عليه السلام ، من السجن ، بل أعاد الرسول إلى الملك ورفض الخروج قبل التحقيق في سبب دخوله - كما سيأتي ، إن شاء اللّه .

أما قوله تعالى : ﴿ فأنساه الشيطان ذكر ربه ﴾ . فالصحيح من أقوال أهل العلم أن الذي أنساه الشيطان ذكر ربِّه هو الساقي ، عندما خرج من السجن وذهب إلى قصر الملك انشغل بحياته الجديدة ونسي أن يذكر أمر يوسف للملك .

أما يوسف فلم ينس ذكر ربه يومًا ، لا في السجن ولا خارج السجن ، بل نسي محنته ودعا إلى توحيد ربِّه ، كما سبق بيانه .

والسياق القرآني الكريم يؤكد أن الساقي هو الذي نسي ؛ لأنّه هو الذي تذكر فيما بعد ، فقال تعالى : ﴿ وقال الذي نجا منهما وادكر بعد أُمّةٍ أنا أنبئكم بتأويله فأرسلون ﴾ [يوسف : ٤٥] ، فهذا الساقي الذي نسي من قبل تذكر بعد فترة من الزمن عندما سمع رؤيا الملك .

أما قوله تعالى : ﴿ فلبث في السجن بضع سنين ﴾ ؛ أي ظلّ يوسف ، عليه السلام ، في السجن مدّة تتراوح ما بين ثلاث إلى تسع سنوات ، وهي المدة التي قضاها في السجن ، فإذا ثبت فيما سبق عود الضمير في قوله تعالى : ﴿ فأنساه الشيطان

ذكر ربه ﴾ على الساقي وليس على يوسف ، عليه السلام .

إذن فليس هناك علاقة البتة بين لبث يوسف ، عليه السلام ، في السجن ، وبين قوله للساقي : ﴿ اذكرني عند ربك ﴾ ، وذلك من وجهين :

الوجه الأول : أن من قال بعود الضمير على يوسف قوله ضعيف ، وقد بين أهل العلم ضعف هذا القول ، ومنهم الإمام ابن كثير - رحمه الله - في تفسيره ، حيث قال : (والصحيح إن الضمير في قوله : ﴿ فأنساه الشيطان ذكر ربه ﴾ عائد على الساقي كما قال مجاهد ، ومحمد بن إسحاق ، وعكرمة ، وغيرهم ، ومن قال إن الضمير يعود على يوسف فقوله ضعيف ، وإن كان رُوي عن ابن عباس ، وأسند ابن جرير هاهنا حديثًا فقال : حدثنا ابن وكيع ، حدثنا عمرو بن محمد ، عن إبراهيم بن يزيد ، عن عمرو بن دينار ، عن عكرمة ، عن ابن عباس مرفوعًا قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : « لو لم يقل يوسف الكلمة التي قال - أي : ﴿ اذكرني عند ربك ﴾ - ما لبث في السجن طول ما لبث ، حيث يبتغي الفرَج من عند غير الله » . وهذا الحديث ضعيف جدًا ؛ لأن سفيان بن وكيع ضعيف ، وإبراهيم بن يزيد هو « الجوزي » أضعف منه أيضًا ، وقد رُوي هذا الحديث مرسلاً عن الحسن وقتادة ، وهذه المرسلات لا تُقبل هاهنا ولو قُبل المرسل من حيث هو في غير هذا الموضع ، والله أعلم) .

وفي موضع آخر يقول ابن كثير - رحمه الله : (فأما قول ابن حبان في « صحيحه » ، عند ذكر السبب الذي من أجله لبث يوسف ، عليه السلام ، في السجن ما لبث : أخبرنا الفضل بن الحبّاب الجمحي ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « رحم الله يوسف ، لولا الكلمة التي قالها : ﴿ اذكرني عند ربك ﴾ ما لبث في السجن ما لبث » . يقول ابن كثير : هذا حديث منكر من هذا الوجه ، ومحمد بن عمرو بن علقمة له أشياء يتفرد بها وفيها نكارة ، وهذه اللفظة من أنكرها وأشدُها ، والذي في الصحيحين يشهد بغلطها ، والله أعلم) . انتهى كلام ابن كثير في ردّه على أصحاب هذا القول ، ومما استدل به على نكارة ذلك القول ما جاء في الصحيحين البخاري ومسلم ، فما الذي جاء فيهما ؟

اللفظ الذي جاء في الصحيحين هو : « لو لَبِثْتُ في السجن ما لَبِثَ يوسف لأجبتُ الداعي » ؛ أي لخرجت فورًا من السجن مع أول نداء من الملك بذلك ، ولما انتظرت كما فعل يوسف ، عليه السلام ، وأنتم ترون أن هذه العبارة مناقضة تمامًا للتي جاءت في صحيح ابن حبان ، وهي شهادة كريمة من نبينا لأخيه يوسف ، عليهما السلام ، بالصبر والثبات .

وخلاصة القول : إن دخول يوسف السجن كان بميقات وخروجه منه أيضًا بميقات وقته رب الأرض والسماوات ، وليس مرتبطًا بقول يوسف ، أو نسيان الساقي ، هذا هو الصواب ، والله أعلم .

● **ثالثًا** : رؤيا الملك

قال تعالى : ﴿ وقال الملك إني أرى سبع بقرات سمان يأكلهنّ سبع عجافٌ وسبع سنبلاتٍ خُضْرٍ وأُخَرَ يابساتٍ يأيها الملأ أفتوني في رؤياي إن كنتم للرؤيا تعبرون ﴾ [يوسف : ٤٣] .

أخي الكريم ؛ إذا أراد الله أمرًا هيأ له أسبابه ، وهذا أوان خروج يوسف ، عليه السلام ، من السجن قد قرب - بإذن الله - فهيأ له الله السبب المباشر ، وهو رؤيا ملك مصر التي رآها في نومه .

والملك هو الريان بن الوليد ، كما ذكر أصحاب السِّير والتاريخ ، وقيل : إنه لم يكن من الفراعنة ، ولكن كان من الهكسوس الذين حكموا مصر في تلك الحقبة من الزمن ، ولذلك قال بعض المفسرين : إن القرآن لم يذكره بلقب الفرعون ، وذكره بلقب الملك .

والرؤيا كما عرضها السياق القرآني الكريم بإيجاز بليغ معجز هي رؤية الملك في نومه لسبع بقرات سمان تأكلها سبع بقرات عجاف مهازيل ، وكذلك رأى سبع سنبلات خضر تأكلهن سبع سنبلات يابسات ، فاندهش الملك لهذه الرؤيا ، وتحيَّر فكره فيها ، وأصابه الخوف والهلع بسببها ، فدعا أشراف قومه وكبراءهم وعلماءهم ، وقصَّ عليهم ما رأى لعله يجد عندهم تأويلاً لها ، لكن القوم قالوا جميعًا كما قصَّ علينا ربنا : ﴿ قالوا أضغاث أحلامٍ وما نحن تأويل الأحلام بعالمين ﴾ [يوسف : ٤٤] ، فازداد همُّ الملك وتضاعف حزنه وخوفه ، وهنا تذكر صاحب يوسف ، عليه السلام ، الذي هو الآن ساقي الملك ، تذكر ما كان من أمر يوسف في السجن ، وما طلبه منه يوسف ، وتذكر علم يوسف بتأويل الرؤيا ، فقال على الفور : ﴿ أنا أنبئكم بتأويله فأرسلون ﴾ [يوسف : ٤٥] .

● رابعًا : تأويل رؤيا الملك :

قال تعالى حكاية عن الساقي : ﴿ يوسف أيها الصديق أفتنا في سبع بقراتٍ سمانٍ يأكلهن سبعٌ عجافٌ وسبع سنبلاتٍ خُضرٍ وأخر يابساتٍ لعلي أرجع إلى الناس لعلهم يعلمون ﴾ [يوسف : ٤٦] ، وهنا انتقل المشهد مباشرة من مجلس الملك إلى السجن ، فهناك مساحة من الزمان والمكان ، وهناك أحداث كثيرة ما بين قوله : ﴿ فأرسلون ﴾ ، وقوله : ﴿ يوسف أيها الصديق أفتنا ﴾ ، تجاوز السياق القرآني هذه الأحداث ولم يبرزها ، وأبرز الحدث الرئيسي ، وهذا من بلاغة السياق القرآني في القصة عمومًا ، وفي قصة يوسف على وجه الخصوص .

جاء السائل إلى يوسف يستفتيه في رؤيا الملك ، فهل قال يوسف : لا ، لن أجيبكم حتى أعرف لماذا وضعتُموني في السجن ؟ هل قال : لن أجيب حتى تخرجوني من هذا السجن الذي وُضعتُ فيه ظلمًا وزورًا ؟ لا لم يقل شيئًا من ذلك ، ولو قاله لكان محقًّا ، بل سارع يوسف لهم بالإجابة فقال : ﴿ تزرعون سبع سنين دأبًا فما حصدتم فذروه في سنبله إلا قليلاً مما تأكلون * ثم يأتي من بعد ذلك سبعٌ شدادٌ يأكلن ما قدَّمتُم لهن إلا قليلاً مما تُحصنون * ثم يأتي من بعد ذلك عامٌ فيه يُغاث الناس وفيه يَعصرون ﴾ [يوسف : ٤٧ - ٤٩] .

فالبقرات السبع السمان هي سنوات زيادة الخير والنماء ، والبقرات العجاف هي سنوات القحط التي ستأتي بعدها ، فتأتي على كل المدخرات من الحبوب الغذائية ، ولن يتبقى منها إلا القليل ، ثم يأتي عام يزداد فيه الخير ويعم الرخاء ، عبر يوسف لهم الرؤيا وزادهم مما علَّمه الله ، وأرشدهم إلى طرق الوقاية والتحصين ، كل ذلك بصدق وإخلاص وتجرد ، ولم يسألهم أجرًا ، ولم يطلب منهم منزلة ولا جاهًا ، ولم يطلب منهم حقه المهضوم ، فهو قد فعل ما فعل رغبة فيما عند الله ، وتلمسًا لطريق يدعو فيه إلى الله ، فهو من عباد الله المخلصين ، ومن أوليائه المتقين ، وهو كذلك من المحسنين كما وصفه رب العالمين .

فما عاقبة إحسانه وتقواه ؟ وما عاقبه صبره على ما ابتلاه الله ؟ ذلك ما سنراه - إن شاء الله - في وقفاتٍ قادمةٍ .

وإلى ذلك نستودعكم الله الذي لا تضيع ودائعه .

من روائع الماضي

الموالد للموتى .. ووضع الشمع والمناديل على مقاماتهم

وجه إلى فضيلته السؤال الآتي :

ما حكم الدين في إقامة الموالد للمشايخ ، ووضع الشمع والمناديل على مقاماتهم ؟

فأجاب : وفقنا الله وإياكم لما يحبه ويرضاه ، ونفع الناس بقول الحق . الحمد لله وحده ، والصلاة والسلام على خاتم رسله محمد وعلى آله وصحبه .

الموالد : هي هذه الحفلات الصاخبة ، أو المجتمعات السوقية العامة ، التي ابتدعها المسلمون في عهودهم المتأخرة باسم تكريم الأولياء وإعلاء قدرهم ومكانتهم ، عن طريق تقديم القرابين ، وذبح النذور ، وإقامة حلقات الذكر ، وعن طريق الخطب ، والقصص ، والمناقب ، والأناشيد ، التي تصور حياة الولي ، وتصف تنقله في معارج الولاية ، وما يتحدث به الناس عنه ، ويضاف إليه من كشف وخوارق وكرامات .

تقام تلك الحفلات لأولياء المدن ، ولكثير من أولياء القرى ، وقد تقام حفلة الميلاد في السنة الواحدة للولي الواحد مرتين فأكثر ، ولهذه الموالد على العموم عشاق يضعونها في مصاف الشئون الدينية التي يتقربون بها إلى الله عن طريق الولي ، فيحفظون تواريخها ، ويهيئون طوال العام لها ، حتى إذا ما حل وقتها تراهم يحزمون أمتعتهم ، ويرتحلون بقضهم وقضيضهم ، برجالهم ونسائهم ، بشيوخهم وشبابهم ، ويلقون – بأحمالهم كما يقولون – على شيال الحمول صاحب المولد ، تاركين بيوتهم ومصالحهم في قراهم ومزارعهم ، مدة تتراوح بين أسبوع وأسبوعين .

والمشايخ الأولياء من جهة تعلق الناس بهم والعناية بموالدهم على قيم مختلفة ودرجات متفاوتة ، فمنهم من يعظم عند الناس جاهه ، ويمتد في نظرهم سلطانه . ويتسع صدره لكل لون من ألوان الحياة ، ولكل رغبة من رغبات

الطوائف ، حتى لقد ترى حفلات المقامرين والمقامرات ، بجانب حفلات المدمنين والمدمنات ، وبجانبها حفلات الذاكرين والذاكرات ، والخليعين والخليعات ، والراقصين والراقصات ، ويجوس خلال الجميع المتسولون والمتسولات ، والنشالون والنشالات ، وكل ذلك يصنع في الموالد ، وعليه تقام ، وإليها يهرع الناس باسم الولاية وتكريم المشايخ .

ومهما قال عشاق الموالد ، والمتكسبون بها ومروجوها – من أن فيها ذكر الله ، والمواعظ ، وفيها الصدقات ، وإطعام الفقراء – فإن بعض ما تراه فيها ويراه كل الناس ؛ من ألوان الفسوق ، وأنواع المخازي ، وصور التهتك ، والإسراف في المال ؛ ما يحتم على رجال الشئون الاجتماعية ، وقادة الإصلاح الخلقي والديني ، المبادرة بالعمل على إبطالها ومنعها ، ووضع حد لمخازيها ، وتطهير البلاد من وصمتها ، ولقد صارت بحق – لسكوت العلماء عنها ، ومشاركة رجال الحكم فيها – مباءة عامة تنتهك فيها الحرمات ، وتراق في جوانبها دماء الأعراض ، وتمسخ فيها وجوه العبادة ، وتستباح البدع والمنكرات ، ولا يقف فيها أرباب الدعارة عند مظهر أو مظهرين من مظاهر الدعارة العامة ، وإنما يبتكرون ويبتدعون ما شاء لهم الهوى من صور الدعارة المقوضة للخلق والفضيلة .

ومن أشد ما يؤلم المؤمن ؛ أن ترى كثيرًا من تلك المناظر الداعرة تُطوّق في المدن معاهد العلم والدين ، ومساجد العبادة والتقوى ، على مسمع ومرأى من رجال الحكم ورجال الدين ، أرباب الدعوة والإرشاد .

أما وضع الشمع والمناديل على مقامات الأولياء وكسوتها ، فينبغي أن يعرف – أولاً – أن الدين الحق لا يعرف شيئًا يقال له : (مقامات الأولياء) ، سوى ما يكون للمؤمنين المتقين عند ربهم من درجات ، وإنما يعرف – كما يعرف الناس – أن لهم قبورًا ، وأن قبورهم كقبور سائر موتى المسلمين ، يحرم تشييدها وزخرفتها ، وإقامة المقاصير عليها ، وتحرم الصلاة فيها وإليها وعندها ، وبناء المساجد من أجلها ، والطواف بها ، ومناجاة من فيها ، والتمسح بجدرانها ، وتقبيلها والتعلق بها ، ويحرم وضع أستار وعمائم عليها ، ويحرم إيقاد شموع ، أو ثريات حولها ، وكل ذلك مما نرى ويتهافت الناس عليه ويتسابقون في فعله على أنه قربة لله ، أو تكريم للولي ، أو قربة لله وطاعة ، خروج عن حدود الدين ، ورجوع إلى ما كان عليه أهل الجاهلية الأولى ، وارتكاب لما حرمه الله ورسوله في العقيدة والعمل ، وإضاعة للأموال في غير فائدة ، بل في سبيل الشيطان ، وسبيل للتغرير بأرباب العقول الضعيفة ، واحتيال على سلب الأموال بالباطل .

أما بعد ؛ فهذا هو حكم الدين في الموالد ، وهذا هو حكمه فيما يصنع بمقامات الأولياء ، فمتى يتنبه المسلمون ويعودون إلى الهدي الحق ؟ ويتقربون إلى الله بما يرضاه الله بما شرعه على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم ، وتقرب به إليه أولياؤه ، الذين آمنوا وكانوا يتقون . و((خير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم ، وشر الأمور محدثاتها)) .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

عقائد الصوفية في ضوء الكتاب والسنة

الحقيقة المحمدية عند السلف الصالح

بقلم أ / محمود المراكبي

الحمد لله الملك الحق، الذي يحق الحق بكلماته، وأمرنا بقوله: ﴿وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقًا﴾ [الإسراء: ٨١]، نستعين به سبحانه، ونصلي ونسلم على من تنزل الهدى الحق على قلبه ليكون للعالمين نذيرًا، فجاء بالصدق وصدق به، من تمسك به فقد هدي إلى الصراط المستقيم، وبعد:

- **رابعًا: حقوق الأنبياء في الكتاب والسنة:**

نتابع في هذه الحلقة - بعون الله تعالى - الحديث عن حقوق الأنبياء على أتباعهم من هدي كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وما ينبغي أن يكون عليه اعتقاد المؤمنين المقتدين بالرسل والأنبياء، وما هو حد التوسط في اعتقاد الناس عن الرسل المبلغين عن الله بين طرفي الإفراط والتفريط، وأول هذه الحقوق هو:

١- التعزير والتوقير:

قال تعالى: ﴿إنا أرسلناك شاهدًا ومبشرًا ونذيرًا ۞ لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزّروه وتوقّروه وتسبحوه بكرةً وأصيلاً﴾ [الفتح: ٨، ٩]، فالتعزير: النصر، والتوقير: التأييد، وهذا في حق الرسول صلى الله عليه وسلم، أما التسبيح بكرة وأصيلاً فهذا حق الله عز وجل، قال تعالى: ﴿الذين يتبعون الرسول النبيَّ الأميَّ الذي يجدونه مكتوبًا عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أُنزل معه أولئك هم المفلحون﴾ [الأعراف: ١٥٧]، فالرسول ﷺ هو المبلغ لشرع ربه، وبالتالي فإن طاعته طاعة لمن يبلغ عنه، ويجب على من يؤمن به أن يعزره وينصره ويتبع النور الذي أُنزل معه.

٢- الطاعة التامة:

أرسل الله تبارك وتعالى رسله ليدلوا الناس على التوحيد، وقد مكث رسول الله ﷺ أول ثلاث سنوات يدعو قومه إلى لا إله إلا الله، حتى تمكن التوحيد من قلوبهم تتابع الوحي، وفصلت الرسالة أحكام الدين وحث الناس على طاعة ربهم، ومن هنا جاءت الآيات التي تحدد سبل الفوز

والنجاة ، قال تعالى : ﴿ ومن يُطع اللَّه ورسوله فقد فاز فوزًا عظيمًا ﴾ [الأحزاب : ٧١] ، ففي طاعة اللَّه ورسوله تفتح أبواب الرحمات ، قال تعالى : ﴿ وأطيعوا اللَّه والرسول لعلكم تُرحمون ﴾ [آل عمران : ١٣٢] ، واللَّه تبارك وتعالى يبشر الطائعين بالجنة والرضوان في محكم التنزيل ، قال سبحانه : ﴿ ومن يطع اللَّه ورسوله يُدخله جناتٍ تجري من تحتها الأنهار ومن يتولَّ يُعذبه عذابًا أليمًا ﴾ [الفتح : ١٧] ، أما الإعراض عن طاعة اللَّه ورسوله ﷺ ففيه إبطال للأعمال وتوقف عن السلوك إلى الواحد الديان ، قال تعالى : ﴿ يأيها الذين آمنوا أطيعوا اللَّه وأطيعوا الرسول ولا تبطلوا أعمالكم ﴾ [محمد : ٣٣] ، وقد يصل الإعراض عن أمر اللَّه تعالى إلى حد الكفر إذا كان الأمر خاصًا بالعقيدة أو الشرك ، قال تعالى : ﴿ قل أطيعوا اللَّه والرسول فإن تولوا فإن اللَّه لا يحبُّ الكافرين ﴾ [آل عمران : ٣٢] .

فالمسلم عليه طاعة اللَّه ورسوله حال سماعه لأحكام الكتاب والسنة ، ولا ينبغي له أن يزيغ أو يتهرب أو يحرف الكلم عن مواضعه ليحيد عن أمر اللَّه وأمر رسوله ، ويحذرنا الحق تبارك وتعالى من هذا التصرف بقوله : ﴿ يأيها الذين آمنوا أطيعوا اللَّه ورسوله ولا تولَّوا عنه وأنتم تسمعون ﴾ [الأنفال : ٢٠] ، كما أن للَّه طاعة ، فإن للرسول طاعة أيضًا ، قال تعالى : ﴿ يأيها الذين آمنوا أطيعوا اللَّه وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شيءٍ فردوه إلى اللَّه والرسول إن كنتم تؤمنون باللَّه واليوم الآخر ذلك خيرٌ وأحسن تأويلاً ﴾ [النساء : ٥٩] .

وقد نص القرآن الكريم على طاعة الرسول ﷺ طاعة منفردة ؛ لأنه مبلغ عن مولاه ، وذلك في مواضع عديدة ؛ منها قوله تعالى : ﴿ وما أرسلنا من رسولٍ إلا ليُطاع بإذن اللَّه ﴾ [النساء : ٦٤] ، كما أشار القرآن إلى معصية الفاسقين للَّه ولرسوله ، قال تعالى : ﴿ ومن يعص اللَّه ورسوله ويتعدَّ حدوده يُدخله نارًا خالدًا فيها وله عذابٌ مهينٌ ﴾ [النساء : ١٤] .

٣- اتباع النبي ﷺ :

ليس هناك طريق أسرع ولا أسلم ولا أضمن في الوصول إلى اللَّه تعالى من اتباع النبي ﷺ والاقتداء به في صغائر الأمور قبل عظائمها ، وذلك لقوله تعالى : ﴿ قل إن كنتم تحبون اللَّه فاتبعوني يحببكم اللَّه ويغفر لكم ذنوبكم واللَّه غفورٌ رحيمٌ ﴾ [آل عمران : ٣١] ، كما عرفتنا السنة النبوية المطهرة أن كمال إيمان العبد رهن بأن يكون هواه تبعًا لما جاء به النبي ﷺ ، فهذا هو الحب الحقيقي ، حيث يتخذ المحب من محبوبه الأسوة والقدوة ، واتباعه هو شغله الشاغل ، والسير على دربه هو قمة الطاعة للَّه تعالى ، وهو الغاية العظمى من اتباع الأنبياء والمرسلين ، صلوات ربي وسلامه عليهم أجمعين .

وهناك فرق كبير بين التقليد والاتباع ، فالتقليد هو اتباع غير النبي ، والسير على أي طريقة من الطرق بلا بينة في دين اللَّه تعالى ، أما الاتباع فهو التلقي عن الوحي ، والاقتداء بما كان عليه النبي ﷺ ، وصدق اللَّه العظيم حيث يقول : ﴿ لقد كان لكم في رسول اللَّه أسوةٌ حسنةٌ لمن كان يرجو اللَّه واليوم الآخر وذكر اللَّه كثيرًا ﴾ [الأحزاب : ٢١] .

٤- التحاكم إلى الرسول والرضى بحكمه والتسليم له :

أقسم اللَّه تبارك وتعالى بنفسه ، ونفى الإيمان عمن لا يرضى بتحكيم الرسول فيما شجر بين الناس ، قال تعالى : ﴿ فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجًا مما قضيت ويُسلموا تسليمًا ﴾ [النساء : ٦٥] ، ولا شك أن التحاكم إلى رسول اللَّه ﷺ بصفته مبلغًا عن اللَّه عز وجل يمثل قمة إيمانية عالية ، لا يعلوها إلا الرضا بحكمه ، والتسليم لأمره ، سواء كان حكمه في صالح المرء أو عليه ، وكذا قوله : ﴿ إنما كان قول المؤمنين إذا دُعوا إلى اللَّه ورسوله ليحكم بينهم أن

يقولوا سمعنا وأطعنا وأولئك هم المُفلحون ۞ ومن يُطع اللّٰه ورسوله ويخش اللّٰه ويتقه فأولئك هم الفائزون ﴾ [النور : ٥١، ٥٢] ، فجعل سبحانه الطاعة له ولرسوله ، بينما الخشية والتقوى له وحده ، فالتحاكم إلى اللّٰه ورسوله حق من حقوق الأنبياء على أقوامهم .

٥- الأدب مع النبي ﷺ :

إن من الآداب القرآنية التي علمنا إياها رب العالمين : توقير النبي ﷺ ، وعدم ندائه باسمه ، كما ينادي الناس بعضهم بعضًا ، فلا يقولوا : يا محمد هكذا فقط ، بل يقولوا : يا نبي اللّٰه ، يا رسول اللّٰه ، قال تعالى : ﴿ لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضًا ﴾ [النور : ٦٣] ، ومن الأدب في حضرته ﷺ عدم رفع الصوت بين يديه ﷺ ، قال تعالى : ﴿ يأيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعضٍ أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون ﴾ [الحجرات : ٢] .

٦- الصلاة والسلام عليه :

أمرنا اللّٰه عز وجل بأمر عظيم من أمور الدين ، وتنبيهًا لنا بقدر هذا التكليف ، بدأ به بنفسه تشريفًا لقدر نبيه وتعليمًا ، وثنى بالملائكة الكرام البررة ، فقال سبحانه : ﴿ إن اللّٰه وملائكته يُصلون على النبي يأيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلِّموا تسليمًا ﴾ [الأحزاب : ٥٦] ، وقد وردت عشرات الأحاديث النبوية الشريفة التي تدعو المسلمين إلى كثرة الصلاة والتسليم على سيد الأولين والآخرين .

٧- اقتران حبه ﷺ بحب اللّٰه تعالى :

على المسلم أن يدرك رفعة النبي ﷺ ، وأنه رحمة للعالمين ؛ مصداقًا لقوله تعالى : ﴿ وما أرسلناك إلا رحمةً للعالمين ﴾ [الأنبياء : ١٠٧] ، وعلى المؤمن أن يقتدي به في أقواله وأفعاله ، وأن يجعله قدوته في كل شيء ، وأن يحب رسول اللّٰه ﷺ حبًّا عظيمًا لا يزيد عليه إلا حبه للّٰه الواحد الأحد الذي خلقه وسواه وعدله وصوره في أحسن تقويم ، وكثيرًا ما يجمع القرآن الكريم بين حب اللّٰه وحب رسوله ﷺ ، ويشير إلى هذا المعنى قوله تعالى : ﴿ قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموالٌ اقترفتموها وتجارةٌ تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحبَّ إليكم من اللّٰه ورسوله وجهادٍ في سبيله فتربصوا حتى يأتي اللّٰه بأمره واللّٰه لا يهدي القوم الفاسقين ﴾ [التوبة : ٢٤] .

إن قمة الأدب مع النبي ﷺ تتمثل في تقديم محبته على المال والأهل والولد ، وأيضًا على النفس ، فذلك تمام الإيمان به ﷺ ، كما ورد في الحديث : ((لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين)) .

٨- إرضاء اللّٰه ورسوله :

وجه القرآن الكريم العبد المسلم إلى الحرص على رضى اللّٰه ورسوله ، وتقديم رضاهما على رضى الناس ، ولو كانوا أولي قربى ، فقال سبحانه : ﴿ واللّٰه ورسوله أحقُّ أن يرضوه إن كانوا مؤمنين ﴾ [التوبة : ٦٢] ، فعلى المؤمن أن يبحث مع كل موقف يقابله في حياته عن التصرف الصحيح الذي يرضي اللّٰه تبارك وتعالى ، ويتبع الرسول ﷺ في هذا التصرف ، ومن رزقه اللّٰه تبارك وتعالى هذه الخصلة فهو من أهل السعادة ، ومن وضع رضاء اللّٰه ورسوله نصب عينيه فليعلم أن أكثر الناس عن ربهم معرضون ، قال تعالى : ﴿ وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين ﴾ [يوسف : ١٠٣] ، ﴿ وما يؤمن أكثرهم باللّٰه إلاَّ وهم مُشركون ﴾ [يوسف : ١٠٦] ، وأن غضب الناس عليه لن يحول دون تمسكه بهدفه ، فرضا الناس لا ينال بمعصيةَ اللّٰه ، وكما قالت عائشة ، رضي اللّٰه عنها : إن رضا الناس غاية لا تدرك .

٩- عدم تفضيل النبي ﷺ على غيره من الأنبياء :

للّٰه تبارك وتعالى وحده أن يفضل بعض النبيين على بعض ، كما قال سبحانه : ﴿ ولقد فضلنا بعض النبيين على بعضٍ ﴾ [الإسراء : ٥٥] ، وقال عز من قائل : ﴿ تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعضٍ منهم من كلم اللّٰه ورفع

بعضهم درجات وآتينا عيسى ابن مريم البينات وأيدناه بروح القدس ﴾ [البقرة : ٢٥٣] ، وليس للناس أن يفاضلوا بين الأنبياء من عند أنفسهم ، لذلك علّم رسول الله ﷺ أصحابه أن لا يفضلوه على أي نبي من الأنبياء ، فقد ورد في الحديث المتواتر أن النبي ﷺ قال : ((لا تفضلوني على يونس بن متى)) . وفي رواية أخرى : ((لا يقولن أحدكم : إني خير من يونس بن متى)) .

ولما خاطبه أحد الصحابة قائلاً : يا خير البرية ، قال : ((بل ذاك إبراهيم ، عليه السلام)) .

مما سبق نخلص إلى أن حق النبي ﷺ على قومه وأتباعه أن يعزروه ويوقروه وينصروه وينصروا دينه ، وأن يطيعوه ويقدموا طاعته ومحبته على كل شيء من مال وولد وأهل ونفس والناس أجمعين ، وأن يردوا كل ما يتنازعون فيه إلى رسول الله ﷺ ، وأن يحكموه في كل الأمور ، وليس أمامهم إلا السمع والطاعة والرضا بقضائه ويسلموا تسليمًا .

خامسًا : حرص النبي ﷺ على التوحيد :

كان رسول الله ﷺ يحقق عبوديته لله تعالى ، ويعلم أمته كيف تحقق ذلك ، وفي نفس الوقت يحذرها من الوقوع في الغلو الذي وقعت فيه النصارى ، حتى عبدوا عيسى ، عليه السلام ، وقد روى الإمام أحمد في ((مسنده)) عن طفيل بن سخبرة أخي عائشة ، رضي الله عنها ، لأمها أنه رأى فيما يرى النائم كأنه مر برهط من اليهود ، فقال : من أنتم ؟ قالوا : نحن اليهود ، قال : إنكم أنتم القوم لولا أنكم تزعمون أن عزيرًا ابن الله ، فقالت اليهود : وأنتم تقولون : ما شاء الله وشاء محمد ، ثم مر برهط من النصارى ، فقال : من أنتم ؟ قالوا : نحن النصارى ، قال : إنكم أنتم القوم لولا أنكم تقولون : المسيح ابن الله ، قالوا : وأنتم القوم لولا أنكم تقولون : ما شاء الله وشاء محمد ، فلما أصبح أخبر بها من أخبر ، ثم أتى النبي ﷺ ، فأخبره فقال : ((أخبرت أحدًا ؟)) قال : نعم ، فلما صلوا خطبهم - أي النبي ﷺ - فحمد الله وأثنى عليه ، فقال : ((إن طفيلاً رأى رؤيا فأخبر بها من أخبر منكم ، وإنكم تقولون كلمة كان يمنعني الحياء منكم - زاد البيهقي : فلا تقولوها - ولكن قولوا : ما شاء الله وحده لا شريك له)) .

وقد روى حذيفة ، رضي الله عنه ، نفس القصة مختصرة فقال : إن رجلاً من المسلمين رأى في النوم أنه لقي رجلاً من أهل الكتاب ، فقال : نعْمَ القوم أنتم ، لولا أنكم تشركون ، تقولون : ما شاء الله وشاء محمد ، وذكر ذلك للنبي ﷺ فقال : ((أما والله ، إن كنت لأعرفها لكم ، قولوا : ما شاء الله ، ثم شاء محمد)) .

وروى ابن عباس قال : جاء رجل إلى النبي ﷺ يكلمه في بعض الأمر ، فقال الرجل لرسول الله ﷺ : ما شاء الله وشئت ، فقال رسول الله ﷺ : ((أجعلتني لله عدلاً ؟ بل ما شاء الله وحده)) .

وعن حذيفة أن النبي ﷺ قال : ((لا تقولوا : ما شاء الله وشاء فلان ، ولكن قولوا : ما شاء الله ، ثم شاء فلان)) .

وروى البيهقي في ((سننه)) عن عدي بن حاتم قال : خطب رجل عند رسول الله ﷺ قال : من يطع الله ورسوله فقد رشد ، ومن يعصهما فقد غوى ، فقال رسول الله ﷺ : ((بئس الخطيب أنت ، قل : ومن يعص الله ورسوله فقد غوى)) .

وقال ﷺ : ((لا تتخذوا قبري عيدًا ، وصلوا عليّ حيثما كنتم فإن صلاتكم تبلغني)) .

وقال ﷺ : ((اللهم لا تجعل قبري وثنًا يُعبد ، اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد)) .

وقال ﷺ : ((إن من كان قبلكم كانوا يتخذون القبور مساجد ، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد ، فإني أنهاكم عن ذلك)) .

سادسًا : الوسطية في الإسلام :

أنزل الله تبارك وتعالى آيات مباركات نتلوها في كل ركعة سائلين إياه قائلين : ﴿ اهدنا الصّراط المستقيم ۝ صراط الذين

أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين ﴾ [الفاتحة : ٦، ٧] ، فالصراط الحق يتوسط نهج القوم المغضوب عليهم ونهج القوم الضالين ، ولقد مثل رسول اللَّه ﷺ الصراط المستقيم بالخط المستقيم ، ثم رسم عن يمينه خطوطًا وعن يساره خطوطًا ، وهو يتلو قول اللَّه تبارك وتعالى : ﴿ وأن هذا صراطي مستقيمًا فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ﴾ [الأنعام : ١٥٣] .

ومن المعلوم أن كل خُلُق محمود هو في حقيقته توسط بين وصفين مذمومين أحدهما يتسم بالغلو والإفراط ، والآخر بالتفريط والتقصير ، فالشجاعة مثلاً خلق حسن محمود مبعثه قوة تنبعث لنصرة الحق ، وهي خلق إذا شابه الغلو والإفراط نتج عنه صفة التهور والحماقة ، وذلك وصف لمن بذل قوة بدون ضابط يحكمها لنصرة الباطل مثلاً أو التمادي في القوة بما يقارب البطش والجبروت ، والشجاعة إذا نسبناها للتفريط والتقصير كانت المحصلة صفة الجبن الذي نعرفه بأنه التأخر أو التوقف عن بذل القوة لنصرة الحق ، ولقد كان دأب اليهود التقصير والتفريط في جنب اللَّه عز وجل ، فما من تكليف على لسان نبي اللَّه موسى ، عليه السلام ، إلا وقابلوه بالجدال والمراء ، حتى إيمانهم وفهمهم عن اللَّه تبارك وتعالى قاصر ، حتى قالوا : ﴿ يد اللَّه مغلولةٌ ﴾ [المائدة : ٦٤] ، وقالوا كذلك : ﴿ إن اللَّه فقيرٌ ونحن أغنياء ﴾ [آل عمران : ١٨١] ، وهذا رسول اللَّه ﷺ يأتيه حبر من أحبار اليهود فيقول : يا محمد ، إنا نجد أن اللَّه يجعل السماوات على إصبع ، والأرضين على إصبع ، والشجر على إصبع ، والماء والثرى على إصبع ، وسائر الخلائق على إصبع ، فيقول : أنا الملك ، فضحك رسول ﷺ حتى بدت نواجذه ، ثم قرأ رسول اللَّه ﷺ : ﴿ وما قَدَرُوا اللَّه حق قدره والأرض جميعًا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه ﴾ [الزمر : ٦٧] ، كما أنهم لم يوفوا للَّه بعهد ، من أجل ذلك غضب اللَّه عليهم ولعنهم .

أما النصارى فقد دفعهم الإفراط في الحب والغلو في الإطراء إلى الضلال المبين ، حين زعموا أن عيسى ، عليه السلام ، إنما هو المظهر الأول والأُقنوم الثاني ، وقبضة النور الأصلية التي خلق منها كل شيء ، ويرون أن يوم الدينونة هو المثول بين يدي الابن للحساب والجزاء ، لقد وصف اللَّه تبارك وتعالى أمة الإسلام بأنها أمة وسط في قوله تعالى : ﴿ وكذلك جعلناكم أمةً وسطًا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدًا ﴾ [البقرة : ١٤٣] ، فالوسطية في الاعتقاد هي الاعتدال بين الغلو والتقصير مع نفي كل من الغلو والتقصير .

ورسول اللَّه ﷺ يحذر أصحابه قائلاً : ((تركتكم على المحجة البيضاء ليلها كنهارها ، لا يزيغ عنها إلا هالك)) ، كما حذرنا ﷺ من مغبة الغلو الذي يتمثل اليوم واضحًا في إطراء الصوفية للنبي ﷺ ، كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم ، وذلك بقوله ﷺ : ((لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم ، فإنما أنا عبده ، فقولوا : عبد اللَّه ورسوله)) .

فهذه الألفاظ خرجت من فم من أوتي جوامع الكلم ﷺ ومقصوده واضح جلي ، كأنه يقول لنا : إياكم أن ترفعوني فوق مقام العبودية والرسالة إلى مقام الألوهية كما فعلت النصارى ، ومعنى هذا التحذير أن فريقًا من المسلمين سيفعل ذلك ، ولا نعرف سوى الصوفية التي وقعت في ذلك ، ولا ينبغي أن نعد معهم الشيعة والباطنية ، حيث إن حقيقة مذهب هؤلاء هو الغلو في علي بن أبي طالب ، رضي اللَّه عنه ، وكراهية باقي الصحابة ، حتى ألبسوه ثوب الألوهية ، وما إلى ذلك من الأفكار التي انحرفت بالشيعة والباطنية عن جادة الإسلام وطريقته المثلى .

وصلِّ اللهم على عبد اللَّه ورسوله سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

لا تيأسوا من روح الله

وكتبه / أبو الحسن أشرف نمير

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على النبي الأمين ، وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين ، وعلى أصحابه الغر الميامين ، وبعد :

فإن المتأمل في حال المسلمين اليوم يكاد يصاب باليأس من صلاح حالهم ، واجتماع كلمتهم ، ويكاد التفكير في صلاحهم يضني العاقل ، كيف ذلك ؟ وبأي وسيلة ؟ وبأية حيلة ؟ والله إنها لحيرة زاغت فيها الأبصار والعقول ، نظرًا لعظم الفتن وشدة المحن ، فتنٌ وأي فتن ؟ تموج كموج البحر ، تدع الحليم حيران ، واليقظان سكران : ﴿ وما هم بسكارى ﴾ [الحج : ٢] ، ولكن : ﴿ ولا تيأسوا من روح الله إنه لا ييأس من روح الله إلاّ القوم الكافرون ﴾ [يوسف : ٨٧] ، فانطلاقًا من هذه القاعدة القرآنية العظيمة أبشروا يا عباد الله وثقوا بنصر الله : ﴿ إنا للنصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد ۞ يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار ﴾ [غافر : ٥١، ٥٢] ، فمن قرأ القرآن وتدبر التاريخ علم أن النصر في كل عصر ، وكذلك في كل قطر ومصر ، إنما هو لأولياء الله ودعاة الحق الصادقين ، وكما قال النبي صلى الله عليه وسلم : ((الناس كإبل مائة لا تكاد تجد فيها راحلة)) ، فليس يصلح لهذه الدعوة إلا الصادقون الذين عاينوا الطريق بالبصيرة والبصائر ، فعلموا أن الدعوة إلى الله هي طريق الأنبياء أولاً ، وهي طريق الجنة ثانيًا ، والجنة سلعة غالية ثمنها بيع النفس والنفيس : ﴿ إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة ﴾ [التوبة : ١١١] ، فمن ذا الذي يبذل الثمن ؟ إنهم ولا شك المحبوبون الصادقون ، والدعاة المخلصون ، الذين وقفوا حياتهم ونذروا أنفسهم لله تبارك وتعالى ، فليصبهم ما أصابهم ، فقلوبهم آمنة مطمئنة ، ونفوسهم راضية إن شاء الله مرضية ، هذا وعد الله .

فاليأس لا يعرف إلى قلوبهم سبيلاً وهم لا يبغون عن الدعوة تحويلاً ، فالأنبياء أسوتهم ، والرسول قدوتهم ، فيدعون الناس ويتحملون منهم الأذى ويبصرون أهل العمى ، هداية الناس أحب شيء إلى قلوبهم يريدون الخير للأمة جمعاء ، مباركين في سعيهم ، يوزعون الابتسامات ، فيهشون ويبشون في وجوه الناس أملاً في هدايتهم ، وطمعًا في استقامتهم ، يريدون الله والدار الآخرة : ﴿ ومن أحسنُ دينًا ممن أسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملة إبراهيم حنيفًا ﴾ [النساء : ١٢٥] .

وصلى الله على عبده ونبيه محمد وعلى آله وصحبه .

أخلاقيات التعامل الاقتصادي في الإسلام

إعداد أ. / زيد بن محمد الرماني

محاضر بعمادة البحث العلمي وحدة بحوث الاقتصاد الإسلامي - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

إن أحكام الشريعة الإسلامية في مختلف مرافق الحياة البشرية مرتبط بعضها ببعض ، حيث تشكل وحدة متكاملة ، تنبثق عن أصل واحد هو العقيدة الإسلامية .

وبهذا يتبين لنا أن أحكام الاقتصاد الإسلامي متصلة بالأخلاق الإسلامية اتصالاً عضوياً ، وبالمثل فإن الأخلاق لا تنفك عن عقيدة التوحيد .

ومن هنا نلاحظ أن أوجه ارتباط الأخلاق الإسلامية بالاقتصاد يتجلى في ذلك التلاحم ما بينها وبين دعائم الاقتصاد وأهدافه .

ويتضح ذلك من خلال عرض نماذج من التعاملات الاقتصادية في الإسلام ، والأخلاقيات التي ينبغي الأخذ بها ، من مثل :

١- التسامح والتساهل : من أخلاق الإسلام التسامح بوجه عام ، والتسامح فى المعاملات الاقتصادية بوجه خاص ، ويتمثل هذا التسامح في أمور متعددة منها :

أ- السماحة في البيع والشراء والمطالبة بالدَّين ، قال عليه الصلاة والسلام : «رحم اللّه رجلاً سمحاً إذا باع وإذا اشترى وإذا اقتضى .. » . رواه البخاري .

ب- إنظار المدين المُعْسر ، عملاً بقوله تعالى : ﴿وإن كان ذو عُسْرة فنظرة إلى ميسرة﴾ [البقرة : ٢٨٠] .

جـ- إقالة العقد ؛ أي الاستجابة إلى فسخه إذا رغب المشتري ذلك لظهور عدم احتياجه إلى المعقود عليه مثلاً ، يقول صلى اللّه عليه وسلم : «من أقال مسلماً أقال اللّه عثرته» . رواه أبو داود .

٢- الصدق والأمانة : وهما صفتان من صفات المؤمن بوجه عام ، ومن صفات الذي

يعمل في الميدان الاقتصادي بوجه خاص ، ولا يخفى ما لهاتين الصفتين من جلب العملاء على المتحلي بهما ، وغرس الثقة به في نفوس المتعاملين معه ؛ ولذلك امتدح رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم الاقتصادي ورجل الأعمال الذي يتصف بهاتين الصفتين ، فقال صلى اللّه عليه وسلم : « التاجر الأمين الصادق مع النبيين والصديقين والشهداء » . رواه الترمذي .

٣- **عدم الحلف** : الأصل أن الأيمان شُرعت لإنهاء الخصومات بتأكيد وقوع تصرف أو نفيه ، ولا يجوز الحلف في غير هذه المواطن ، وبناء على ذلك فليس الحلف أداة للكسب ، وترويج البضائع وإقناع المشتري بها ، ولذلك قال صلى اللّه عليه وسلم : « إياكم وكثرة الحلف في البيع ، فإنه يُنفق ثم يمحق » . رواه مسلم .

٤- **إتقان العمل** : ربى الإسلام أتباعه على إتقان العمل والإخلاص فيه ، حتى أصبح الإتقان خُلقًا من أخلاق المسلم ، حيث يقول صلى اللّه عليه وسلم : « إن اللّه يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه »(١) . رواه البيهقي .

ولا يخفى ما في الإتقان للأعمال من تقدم اقتصادي .

٥- **النصيحة** : أفاضت السنة النبوية في بيان ضرورة أن ينصح المسلم أخاه ، ويبين له ما يراه عند إتمام الصفقة ، وفي كل الأمور ، من عَيْب أو مزية ، من كساد أو رواج ، حتى تنبني المعاملات والعلاقات على أسس ثابتة سليمة ، معيارها معرفة الحقيقة وإعمال الفكر وبلوغ الاختيار غايته والوصول إلى حقيقة الرضا .

وبهذا العرض يتبين لنا مدى ارتباط الاقتصاد بالأخلاق الإسلامية ، وهذا عكس ما فعلته الاقتصاديات الوضعية ، حيث جردت الاقتصاد من الأخلاق ، بحجة أن التعامل الاقتصادي تعامل مادي محكوم بنظم وقواعد تحدده وتفرضه على الجميع ، فلا علاقة للاقتصاد بالأخلاق ، وإنما صلة الأخلاق يجب أن تتوافر بين الأفراد في صلاتهم الاجتماعية .

وهذه الفلسفة الفكرية القائمة على الفصل بين الأخلاق وبين الاقتصاد في الفكر الوضعي ، بدت تهتز أركانها على أيدي بعض المفكرين الاقتصاديين ، حيث بدأت أصواتهم ترتفع مطالبة بوجوب إخضاع الاقتصاد إلى المعايير والأحكام والمثل الأخلاقية .

واللّه ولي التوفيق .

---

(١) صححه الألباني في « السلسلة الصحيحة » : (١١١٣) .

علو الهمة وأثره ..

بقلم / بدر عبد الحميد إبراهيم هميسة

١- معنى علو الهمة

العلو : من علا في المكان ، من باب سما ، وفلان من عِلية القوم ؛ أي شريف رفيع فيهم ، والعلياء : كل مكان مشرف ، والعلا : الرفعة والشرف ، والهمة : واحدة الهمم ؛ بمعنى العزم ، ومعنى علو الهمة : استصغار ما دون النهاية من الأمور .

قال ابن تيمية : لا ينظر إلى كلام الحكيم ، وإنما إلى همته ، وقال «صاحب مدارج السالكين» : (علو الهمة ؛ أن لا تقف دون اللَّه ، ولا تتعوض عنه بشيء سواه ، ولا ترضى بغيره بدلاً مِنه ، ولا تبع حظك من اللَّه بشيء من الحظوظ الفانية ، والهمة العالية على الهمم كالطائر العالي على الطيور ، وعلو همة المرء عنوان فلاحه ، وسفول همته عنوان حرمانه) .

٢- دعوة الإسلام إلى علو الهمة

الإسلام دين عظيم جاءت تعاليمه لترفع من شأن الإنسان ، وتجعله صاحب شخصية مميزة ومحددة ، وفي سبيل تحقيق هذا الهدف جاءت دعوة الإسلام إلى أن يكون المسلم صاحب همة عالية ؛ حتى يحقق الهدف المنشود الذي خلق من أجله ، قال تعالى : ﴿ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكورًا﴾ [الإسراء : ١٩] ، وقال : ﴿فاستبقوا الخيرات﴾ [البقرة : ١٤٨] ، وقال أيضًا : ﴿وجاهدوا في اللَّه حق جهاده﴾ [الحج : ٧٨] .

فالمؤمن الذي يسعى إلى رضوان اللَّه ، عز وجل ، لن يناله إلاَّ بهمة عالية تدفعه إلى العمل الصالح ، فسلعة اللَّه غالية ، وعالي الهمة يجود بالنفس والنفيس في سبيل غايته ، وتحقيق بغيته ؛ لأنه يعلم أن المكارم منوطة بالمكاره ، وأن المصالح والخيرات واللذات والكمالات لا تنال إلا بشق الأنفس ، ولا يعبر إليها إلا على جسر من التعب .

قال الشاعر :

بصرت بالراحة الكبرى فلم أرها
تنال إلا على جسر من التعب

ولأن الإسلام خبير بالنفوس ، وبمواطن الخلل فيها ، فقد دعا المسلم أن يكون - دائمًا - عالي الهمة ، يقظ الضمير في عبادته وفي تعلمه ، وفي سائر أعماله ، وكافة تصرفاته .

أ- علو الهمة في العبادة

المتأمل في أسرار التشريع الإسلامي يجد أن الإسلام العظيم لم يترك سبيلاً إلا وقد سلكه في حث المسلم على تنفيذ أوامر اللَّه ، عز وجل ، والتي فيها سعادته الكاملة في الدنيا والآخرة .

ولكي يؤدي المسلم أركان العبادة ونوافلها لا بد له من همة عالية ؛ لأن النفس قد تنزع إلى الشر فتسلك سبيله ، قال تعالى : ﴿ونفس وما سواها * فألهمها فجورها وتقواها * قد أفلح من زكاها * وقد خاب من دساها﴾ [الشمس : ٧- ١٠] ، فإسباغ الوضوء على المكاره ، وانتظار

في حياة الفرد والأمة

الصلاة بعد الصلاة يحتاج إلى همة عالية ، وإنفاق ما نحب في سبيل الله لننال به البر يحتاج إلى همة عالية ، وكذا سائر العبادات ، ولقد ضرب لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم مثلاً رائعًا في الهمة العالية ، فقد ثبت في « الصحيحين » أنه صلى الله عليه وسلم كان يقوم الليل حتى تفطرت قدماه ، فتقول له السيدة عائشة ، رضي الله عنها : أتفعل ذلك يا رسول الله ، وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؟! فيقول لها بهمة عالية : « أفلا أكون عبدًا شكورًا » ، وحينما جاءه ابن أم مكتوم وقال له : يا رسول الله ، أنا ضرير شاسع الدار ، ولي قائد لا يلائمني ، فهل تجد لي رخصة أن أصلي في بيتي ؟ فقال له : « أتسمع النداء ؟ » قال : نعم ، قال : « ما أجد لك رخصة » ، وهو الذي روى لنا عن رب العزة تبارك وتعالى أنه قال : « من شغله القرآن عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين » .

فهمة المسلم - دائمًا - نزاعة إلى طلب مرضاة الله تعالى ، وهو في ذلك يجعل همه لآخرته ، يضع نصب عينيه قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « من كانت همه الآخرة جمع الله له شمله ، وجعل غناه في قلبه ، وأتته الدنيا راغمة ، ومن كانت همه الدنيا فرق الله عليه أمره ، وجعل فقره بين عينيه ، ولم يأته من الدنيا إلا ما كتب له » ، وبهذه الروح وعليها ربى الرسول صلى الله عليه وسلم أصحابه وأتباعه ، حتى إن الواحد فيهم بعد ذلك كان إذا رأى أخاه قد فترت همته وضعفت كان يأخذ على يده فيضع من قوته على ضعفه .

فعن أنس قال : كان عبد الله بن رواحة إذا لقي الرجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له : (تعال نؤمن بربنا ساعة) ، وبذا نالوا رضوان الله ، عز وجل ، وفازوا بمرضاته .

ب- علو الهمة في طلب العلم

دعانا الإسلام إلى العلم والتعلم وحبب ذلك إلينا ، وحثنا عليه ، وجعله طريقًا ممهدًا لنا إلى الجنة ، فعن أبي هريرة ، رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من سلك طريقًا يلتمس فيه علمًا سهل الله له طريقًا إلى الجنة » ، وسلوك الطريق إلى العلم يحتاج هو الآخر إلى علو الهمة ، حتى لا ينقطع المرء في منتصف الطريق ، وتعود به همته الضعيفة إلى حيثما كان ، وعلى قدر ما تعطي العلم من همة ، على قدر ما يعطيك هو من خير ومعرفة وهداية ، فالعلم لا يعطيك بعضه ، حتى تعطيه كلك ، ولقد كان صحابة النبي صلى الله عليه وسلم على هذا القدر من علو الهمة في طلب العلم .

روى البخاري في « الأدب المفرد » أن جابر بن عبد الله الأنصاري بلغه عن رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم حديثًا سمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاشترى

بعيرًا وشد عليه رحله ، وسار إليه شهرًا حتى قدم عليه وسأله . وعلى هذا سار العلماء والفقهاء .

ذكر الذهبي في ترجمة المحدث الجوال عبد الله بن مَنْده : أنه رحل وعمره عشرون سنة ، ورجع إلى بلده وعمره خمس وستون سنة ، فكانت رحلته في طلب العلم خمسًا وأربعين سنة ، وهذا هو الحافظ سفيان الثوري يقول : عمرو بن قيس هو الذي أدبني ؛ علمني قراءة القرآن والفرائض ، وكنت أطلبه في سوقه ، فإن لم أجده ففي بيته إما يُصلي أو يقرأ في المصحف كأنه يبادر أمرًا يفوته ، فإن لم أجده وجدته في مسجد قاعدًا يبكي ، وأجده في المقبرة ينوح على نفسه ، وكان إذا نظر إلى أهل السوق يبكي ويقول : ما أغفل هؤلاء عما أعد لهم !

جـ- علو الهمة في العمل

في الإسلام يرتبط الإيمان بالعمل ارتباطًا وثيقًا ، فلا انفصام ولا انفصال بينهما ، ويتكرر في القرآن الكريم كثيرًا قوله سبحانه : ﴿ إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات ﴾ [الكهف : ١٠٧] ، والرسول الكريم صلى الله عليه وسلم يوصينا فيقول : ((اتق الله حيثما كنت ، وأتبع السيئة الحسنة تمحها ، وخالق الناس بخلق حسن)) .

فتقوى الله والأخلاق صنوان متلازمان ، وإتقان العمل وإحسانه من صميم الإيمان ، والمؤمن الحق في علو همته يسعى إلى كل عمل شريف نافع يعود عليه وعلى أمته بكل خير .

روى عبد الله بن عمر أن رجلاً جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا رسول الله ، أي الناس أحب إلى الله ؟ فقال : ((أحب الناس إلى الله أنفعهم للناس ، وأحب الأعمال إلى الله سرور تدخله على مسلم ، تكشف عنه كربة ، أو تقضي عنه دينًا ، أو تطرد عنه جوعًا)) ، والله عز وجل لن يمكن للمؤمنين في الأرض إلا إذا اقترن إيمانهم بالله بعملهم وسلوكهم في الحياة ، قال تعالى : ﴿ وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنًا يعبدونني لا يُشركون بي شيئًا ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون ﴾ [النور : ٥٥] ، وعلى علو الهمة كان يربي الأوائل من الصالحين والخلفاء أولادهم .

روى البيهقي في ((المحاسن)) أن يحيى بن خالد البرمكي دعا ابنه إبراهيم يومًا ، ثم دعا بمؤدبه وبمن كان قد ضم إليه من كُتَّابه وأحبابه ، فقال لهم : ما حال ابني هذا ؟ قالوا : قد بلغ من الأدب كذا وكذا ، ونظر في كذا وكذا ، قال : ليس عن هذا سألت ، قالوا : قد اتخذنا له من الضياع كذا وكذا ، قال : ولا عن هذا سألت ، إنما سألت عن بُعد همته ، وهل اتخذتم له في أعناق الرجال مننًا وحببتموه إلى الناس ؟ قالوا : لا ، قال : بئس العشراء أنتم والأصحاب ، هو والله إلى هذا أحوج منه إلى ما قلتم .

وروى كذلك أن المأمون قال لولده : اعتبروا في علو الهمة بمن ترون من وزرائي وخاصتي ، إنهم والله ما بلغوا مراتبهم عندي إلا بأنفسهم ، إنه من تبع منكم صغار الأمور ، تبعه التصغير والتحقير ، وكان قليل ما يفتقد من كبارها ، أكثر من كثير ما يستدرك من الصغار ، فترفعوا عن دناءة الهمة ، وتفرغوا لجلائل الأمور والتدبير ، واستكفوا الثقات ، وكونوا مثل كرام السباع التي لا تشتغل بصغار الطير والوحش ، بل بجليلها وكبارها .

٣- أثر علو الهمة في حياة الفرد والأمة :

من الآثار المترتبة على علو الهمة في حياة الفرد والأمة :

١- أنه يحقق لنا العزة والكرامة :

فإن عالي الهمة يثق دائمًا بما في يد اللَّه ، عز وجل ، وبما عنده ، فيأمن إذا ما خاف الناس ، ويكبر إذا ما صغر الناس .

قال الشاعر المتنبي :

على قدر أهل العزم تأتي العزائم
وتأتي على قدر الكرام المكارم
وتعظم في عين الصغير صغارها
وتصغر في عين العظيم العظائم

قال العكبري في شرح هذين البيتين : عزيمة الرجل على مقداره ، وكذلك مكارمه ؛ فمن كان كبير الهمة قوي العزم ، عظم الأمر الذي يلزم عليه ، وكذلك المكارم إنما تكون على قدر أهلها ، فمن كان أكرم ، كان ما يأتيه من المكارم أعظم ، فالرجال قوالب الأحوال إذا صغروا صغرت ، وإذا كبروا كبرت .

ولله در الشافعي الذي قال :

أنا إن عشت لست أعدم قوتا
وإذا مت لست أعدم قبرا
همتي همة الملوك ونفسي
نفس حر ترى المذلة كفرا
فإذا ما قنعت بالزاد عمري
فلماذا أخاف زيدًا وعمرا ؟

وأمتنا اليوم أشد ما تكون حاجة إلى همة عالية ، تأخذ بها من الذل والتبعية ، إلى النهوض والسيادة ، ومن الارتكاس والتراجع إلى التقدم والقيادة .

٢- أنه يجعلنا نواجه الشدائد بعزائم ثابتة

فصاحب الهمة العالية يكون أقدر الناس على تحمل ما يواجهه من مصاعب ومصائب ، وبعدها يستأنف العمل بتلك الروح الوثابة ، فعن أبي هريرة ، رضي اللَّه عنه ، عن النبي صلى اللَّه عليه وسلم أنه قال : «قال اللَّه تبارك وتعالى : إذا ابتليت عبدي المؤمن فلم يشكني إلى عواده ، أطلقته من إساري ، ثم أبدلته لحمًا خيرًا من لحمه ، ودمًا خيرًا من دمه ، ثم يستأنف العمل » ، وكذلك الأمة صاحبة الهمة العالية ، إذا أصابها العطب في بعض أجزائها نكأت جرحها ، وتغلبت على آلامها ، ثم استأنفت عملها من جديد .

٣- أنه يحدد هدفه بدقة

لأن صاحب الهمة الضعيفة يمشي متخبطًا ، ويسير على غير هدًى ، أما صاحب الهمة القوية ، فإنه يجعل الهموم همًّا واحدًا ، ولا تتشعب به الطرق ، قال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم : «من جعل الهموم كلها همًّا واحدًا كفاه اللَّه سائر همومه ، ومن تشعبت به الهموم في أحوال الدنيا لم يبال اللَّه في أي أوديتها هلك » .

٤- أن همته العالية تبقى له ذخرا بعد مماته

روى مسلم عن أبي هريرة ، رضي اللَّه عنه ، أن رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم قال : « إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث ؛ صدقة جارية ، أو علم ينتفع به ، أو ولدٌ صالح يدعو له » ، فعلو الهمة يبقى لصاحبه ذخرًا بعد مماته ، كما كان له عزًّا ونصرًا في حياته .

وهكذا فإن أمتنا اليوم أحوج ما تكون إلى همة عالية نجدد بها الدين والدنيا ، ونعود بها أعزاء كرماء فإن :

من طلب العُلا في غير كدٍّ
أضاع العمر في طلب المحال

وإن من قصرت به همته عاش ذليلاً مهانًا ، ومن علت به همته حاز النصر والشرف والعلو .

الإيمان ومزاياه

الحلقة الرابعة

قضية الإيمان ليست أمرًا على هامش الوجود يجوز لنا أن نغفله أو نستخف به أو ندعه في زوايا النسيان ، كيف وهي أمر يتعلق بوجود الإنسان ومصيره ؟ فقضية الإيمان أعظم قضية مصيرية بالنظر إلى الإنسان .

إنها سعادة الأبد أو شقوته ، إنها لجنة أبدًا أو لنار أبدًا ، فكان لزامًا على كل ذي عقل أن يفكر فيها ، ويطمئن إلى حقيقتها .

وقد فكر الكثيرون من أولي الألباب ، وانتهى كل منهم إلى إثبات العقيدة في اللّٰه بطريقه الخاص ، فمنهم من استند إلى صورة الفطرة في أعماقه : ﴿ أفي اللّٰه شكٌ فاطر السموات والأرض ﴾ [إبراهيم : ١٠] ، ومنهم من اعتمد على مبدأ ((السببية)) الذي يقرر أن كل صنعة لا بد لها من صانع ، وكل حادث لا بد له من محدث ، وكل حركة لا بد لها من محرك ، وكل نظام لا بد وأن يكون وراءه منظم ، وهذا المبدأ ثابت الأوليات البديهية في العقول .

ومنهم من ناقش المسألة مناقشة حسابية رياضية ، فانتهى إلى أن الأضمن لحياته وما بعد مماته أن يؤمن باللّٰه وبالآخرة ، والبعث والجزاء ، وفي هذا يقول أبو العلاء المعري :

قال المنجم والطبيب كلاهما
لا تبعث الأموات ، قلت : إليكما
إن صح قولكما فلست بخاسر
أو صح قولي فالخسار عليكما

وقال الفيلسوف الرياضي ((بسكال)) : إما أن نعتقد أن اللّٰه موجود ، أو لا نعتقد ذلك ، فماذا تختار ؟ إن عقلك لعاجز كل العجز أن يختار ، وإنها للعبة جارية بينك وبين الطبيعة ، رمى فيها كل منكما بسهمه ، ولا بد أن يرجع أحد السهمين ، فوازن بين كل ما يمكن أن تربح ، وما يمكن أن تخسر ، إذا راهنت بكل ما تملك على ظهور السهم الأول - أي على وجود اللّٰه - فإذا كسبت الرهان ، فقد حصلت على سعادة أبدية ، فإذا أخفقت ، فسوف لا تفقد شيئًا مهمًا ، فلست تخاطر إلا بشيء فان ، وكل غرم فان - ولو كان محقق الوقوع - متحمل ومعقول .

ونزيد على هذا فنقول : إن الذي يؤمن باللّٰه والدار الآخرة لا يخاطر بدنياه الفانية ليربح آخرته الباقية .. كلا ، إنه بإيمانه يربح الحياتين معًا ، ويفوز بالحسنيين في الدنيا والآخرة جميعًا ، وصدق اللّٰه العظيم : ﴿ من كان يريد ثواب الدنيا فعند اللّٰه ثواب الدنيا والآخرة ﴾ [النساء : ١٣٤] ، ﴿ للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة ولدار الآخرة خير ﴾ [النحل : ٣٠]

إن العبادات التي فرضها الدين ، إنما صان بتحريمها على الإنسان عقله وخلقه ونفسه وماله وعرضه ونسله ، فهو إنما : ﴿ يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم ﴾ [الأعراف : ١٥٧] .

والدين إذا حرم على الناس شيئًا ، عوضهم ما هو خير منه ، مما لا يشتمل على مفسدة الشيء المحرم .

إن المؤمن لم يخسر بعبادة اللّٰه سبحانه واتقائه ما حرَم اللّٰه عليه ، وإنما ربح الهدى والاستقامة على الحق والثبات على الخير ، والاستعلاء على الشهوات ، وربح بعد ذلك هدوء النفس ، وطمأنينة الحياة .

وفي عصرنا هذا أصبح الناس يجرون وراء المنفعة لاهثين ، حتى أن كثيرًا منهم ليرون الحق فيما ينفعهم لا فيما يطابق الواقع أو ما تقوم البراهين على صحته .

وقد قام مذهب برأسه ينادي بأن : المنفعة مقياس الحقيقة ، ويصر على أن المهم من كل شيء هو نتائجه وما يترتب عليه من آثار في حياتنا العملية ،

وعلى أن الصدق ليس هو مطابقة الخبر للواقع ، بل انسجامه مع ما يقع ، وهكذا .

فكل شيء يحكم عليه بما يتبعه من نتائج ، فإن كانت هذه النتائج متناسبة مع أغراضنا ومع ما نريد من مقدماتها كانت خيرًا وصدقًا وحقًا ، وإن كانت غير ذلك كانت شرًا وكذبًا وباطلاً ، ولا يوصف الفعل بحسن ولا قبيح ، ولا يوصف القول بالصدق والكذب حتى تعرف ثمرته ، هذا هو مذهب ((البراجماتزم))(١) .

إننا لا نخشى هذا المذهب على عقيدتنا - وإن كنا لا نوافق عليه في الجملة - فإننا نؤمن أن أنفع شيء للناس هو الحق ، وأن أضر شيء بالناس هو الباطل ، وقد ضرب القرآن الكريم مثلاً للحق بالماء السائل ، والمعدن النافع ، وللباطل بالزبد الرابي على وجه الماء حين يسيل به الوادي ، أو الرغوة المنتفخة على وجه المعدن حين يوقد عليه في النار ابتغاء حلية أو متاع .

ثم قال معقبًا على هذا التمثيل : ﴿ كذلك يضرب اللّه الحق والباطل فأمَّا الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض كذلك يضرب اللّه الأمثال ﴾ [الرعد : ١٧] .

والذي يمكث في الأرض هو الحق ، وهو الذي عبر عنه القرآن بـ ﴿ ما ينفع الناس ﴾ . إنه ينفعهم ماديًا وروحيًا ومعنويًا ، ينفعهم أجسامًا وعقولاً ، وينفعهم أفرادًا وجماعات ، وينفعهم دنيا وآخرة .

نحن نختلف مع الماديين في قياس المنفعة ، وتحديد نوعها ومداها ، نحن لا نقيس المنفعة بالكم وبالمادة فحسب ، ولا نعتبر المنفعة الفردية وحدها ، بل ندخل في اعتبارنا الكم والكيف والمادة والروح والفرد والمجتمع جميعًا ، ولا نقصر المنفعة على الحياة العاجلة هنا ، بل نضع في حسابنا دائمًا الحياة الآخرة ، حياة الخلود التي أعدت للإنسان وأعد لها الإنسان .

ولو احتكمنا إلى مقياس المنفعة وحدها ، ورضينا منطق الذين لا يعتنقون فكرة إلا لمصلحة ، ولمصلحة دنيوية فحسب .. لوجدنا الدين - مع هذا - ثقيل الميزان ، مبين السلطان ، فقد أثبت التاريخ والاستقراء لحياة البشر أن الدين ضرورة لا غنى عنها ؛ ضرورة للفرد ليطمئن ويسعد ، وتزكو نفسه ، وضرورة للمجتمع ليستقر ويتماسك ، ويرتفع ويرتقي .

والفرد بغير دين ولا إيمان ريشة في مهب الريح ، لا تستقر على حال ، ولا تعرف لها وجهة ، ولا تسكن إلى قرار مكين .. الفرد بغير دين ولا إيمان إنسان ليس له قيمة ولا جذور ، إنسان قلق متبرم حائر ، لا يعرف حقيقة نفسه ، ولا سر وجوده ، ولا يدري من ألبسه ثوب الحياة ، ولماذا ألبسه إياه ، ولماذا ينزعه عنه بعد حين ؟! وهو بغير دين ولا إيمان : حيوان شره ، أو سبع فاتك ، لا تستطيع الثقافة والقانون - وحدهما - أن يحدًا من شراهته ، أو يقلما أظفاره .

والمجتمع بغير دين ولا إيمان مجتمع غابة ، وإن لمعت فيه بوارق الحضارة ، والحضارة والبقاء للأشد والأقوى ، لا للأفضل ، ولا للأتقى ، مجتمع تعاسة وشقاء ، وإن زخر بأدوات الرفاهية ، وأسباب النعيم ، مجتمع تافه رخيص ؛ لأن غايات أهله لا تتجاوز شهوات البطون والفروج ، فهم : ﴿ يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام ﴾ [محمد : ١٢] .

والعلم المادي وإن امتد رواقه ، واتسعت ميادينه ، ليس بمستطيع أن يحقق الطمأنينة والسعادة للناس ؛ لأن العلم يُرقي الجانب المادي للحياة ، فيختصر الشقة البعيدة ، والزمن الطويل ، إلى مدة أقصر ، ولهذا سموا عصرنا هذا : عصر السرعة ، أو عصر التغلب على المسافات .

ولكن هل يستطيع أحد أن يسميه عصر الفضيلة ، أو عصر الطمأنينة ، أو عصر السعادة للبشر ؟ إن العلم هيأ للإنسان الحديث وسائل الحياة ، ولكنه لم يهده إلى غاياتها .. إنه زيّن له ظاهرها ، ولكنه لم

---

(١) مقتبس من خاتمة الدكتور محمود حب اللّه لكتابي ((إرادة الاعتقاد)) ، و((العقل والدين)) لوليم جيمس .

يصله بأعماقها ، وما أتعس الإنسان ، إذا أغرقته الوسائل ، فذهل عن الغايات ، وإذا شغل بالسطح عن القاع ، وبالقشر عن اللباب .

العلم المادي أعطى الإنسان أدوات كثيرة ، ولكنه لم يعطه قيمة كبيرة أو هدفا رفيعًا يحيا له ويموت عليه .

ذلك أن هذه الحياة ليست وظيفة العلم ، وليس من اختصاصه ، وإنما ذلك من اختصاص الدين ، هناك كثير من المفكرين والفلاسفة من لا يؤمنون بالله ، ولكنهم يؤمنون بالإيمان بالله : أي يعتقدون بنفع هذا الإيمان باعتباره قوة هادية وموجهة ، وقوة مؤثرة دافعة ، وقوة منشئة خلاقة .

لم يستطع هؤلاء أن يجحدوا ما للإيمان بالله من طيب الأثر في نفس الفرد ، وفي حياة المجتمع ، فقال بعضهم : لو لم يكن الله موجودًا لوجب علينا أن نخلقه !! أي نخترع للناس إلهًا يؤمنون به ويلتمسون رضاه ، ويخافون حسابه ، حتى ترتدع الأنفس الشريرة ، وتستقيم أخلاق الجماهير ، وقال آخر : لم تشككون في الله ، ولولاه لخانتني زوجتي ، وسرقني خادمي ؟!

ولا نوافق على منطق هؤلاء ، فإن الحق أحق أن يتبع ، مهما تكن نتيجته ، والأباطيل يجب أن تطارد كيفما كانت العاقبة ، ولكن الذي يعنينا من قول هؤلاء - وهم خصوم الدين وأعداء الإيمان - أثر الدين والإيمان في النفس والحياة الذي لا يمكن أن يكابر فيه إنسان منصف ، ولو كان من خصوم الإيمان .

إن الحقيقة يجب أن تحترم لذاتها ، وإن لم تجلب نفعًا ، أو تدفع ضررًا ، فكيف إذا كان من ورائها أعظم المنافع ، وأطيب الثمرات .

ووجود الله تعالى وتفرده بالسلطان والتدبير واستحقاق العبادة وبعثة النبيين وصدق ما أخبروا به عن الحياة الآخرة : كل هذا حق قامت الأدلة على صدق ثبوته ، والإيمان به واجب ؛ لأنه حق ، ومع أنه حق فقد نيط به صلاح الظاهر والباطن ، ورقي الفرد والمجتمع ، وسعادة الدنيا والآخرة .

فمزايا الإيمان الذي يعطي آثارها في النفس والحياة إنما نعني به الإيمان القوي الدافق ، الإيمان حين يبلغ مداه ، ويشرق على القلوب سناه ، ويخط في أعماق النفوس مجراه ، ولا نقصد الإيمان الضعيف المزعزع ، الإيمان المخدر النائم ، إنما نقصد الإيمان الحي اليقظ ، ولا يضرنا أن أصحاب هذا الإيمان قليلون ، ونحن نناقش الماديين الذين يشككون في قيمة الإيمان ليعلموا أن الإيمان الذي يحاربونه كلما زاد عمقه في القلوب وسلطانه على النفوس ، ازداد أثره المبارك في حياة الأفراد والجماعات .

وإذا كان هذا أثر الإيمان عمومًا ، فإن الإيمان الإسلامي خصوصًا أكثر نفعًا ، وأطيب ثمرًا ، فإن الإيمان في الأديان الأخرى قد علق به ما شابه ، وكدر صفاءه ، وربما أمكن أن يؤخذ من تعاليم بعض الأديان ، أو سلوك رجالها ، بأنها عدو للحياة ، أو أفيون للشعوب .

إن عقيدة الإسلام تتسع للروح والمادة ، والحق والقوة ، والدين والعلم ، والدنيا والآخرة ، إنها عقيدة التوحيد التي تغرس في النفوس الكرامة والحرية ، وتجعل الخضوع لغير الله كفرًا وفسقًا وظلمًا ، وتأبى على الناس أن يتخذ بعضهم بعضًا أربابًا من دون الله .

وإذا كان للدين وللإيمان هذا الأثر في كل بلاد الدنيا ، فإن أثره عميق ، وضرورته أعظم في بلادنا الإسلامية والعربية خاصة .

إن لكل قفل محكم أصيل مفتاحًا معينًا ، مهما تحاول فتحه بغيره كانت محاولاتك عبثًا لا فائدة منه ، ولا طائل تحته إلا إضاعة الجهد والوقت في تجارب فاشلة .

ومفتاح الشخصية الإسلامية والعربية على وجه خاص هو الدين ، هو الإيمان ، هو عقيدة الإسلام ، ومهما نحاول أن نزكي هذه الشخصية ، وأن نفجر طاقاتها المكنونة بغير مفتاحها الأصيل - وهو الدين والإيمان - فإننا نحاول عبثًا كمن يبني على الماء ، أو يكتب في الهواء .

وبعقيدة الإسلام انطلق العرب من جزيرتهم يخرجون العالم من الظلمات إلى النور ، ويؤدبون بسيوفهم الأكاسرة والقياصرة ، وكل من صعَر خده من الجبابرة ، وينقلون الناس من عبادة الخلق إلى عبادة الخالق ، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة ، ومن جور الأديان والظلام إلى عدل الإسلام ، وبعقيدة الإسلام انتصرت أمتنا العربية على أوروبا ، وقد جاءت بقضها وقضيضها في تسع حملات صليبية تريد أن تلتهم الأخضر واليابس في هذا الشرق المسلم .

وبعقيدة الإسلام انتصرت على غزو التتار الذين زحفوا على هذا الشرق كالريح العقيم : ﴿ما تذر من شيءٍ أتت عليه إلا جعلته كالرميم﴾ [الذاريات : ٤٢] .

وكادوا يدمرون الحضارة الإنسانية كلها ، لولا أن قيض اللّه لهم من مسلمي مصر والشام من ردهم على أعقابهم ، وهزمهم بإذن اللّه في ((عين جالوت)) ، وكان مفتاح النصر صيحة أطلقها القائد المملوكي ((قطز)) ، فهزت المشاعر ، واستثارت العزائم ، وأيقظت الهمم ، وهبت بها على المقاتلين نسمات الجنة ، تلك الصيحة التاريخية : ((وا إسلاماه)) ، وأمتنا العربية اليوم تحارب عدوًا شريرًا ، يجثم على صدرها ، ويحتل قلب ديارها ، ويهدد وجودها وكيانها بالتفتيت والتمزيق ، ذلك هو (إسرائيل) ، التي تمدها وتعاونها كل قوى الكفر في العالم شرقه وغربه ، ولن نجد في حربنا مع هذا العدو - سلاحًا أمضى ولا أبقى من الإيمان - لا بد من العتاد الحربي ، والقوى المادية ، التي أمرنا اللّه بإعدادها لنرهب بها عدو اللّه وعدونا ، ولكن السلاح لا يعمل إلا في يد بطل ، والبطل لا يصنعه إلا الإيمان .

ولقد فتن أقوام منا بالمذاهب المادية الحديثة التي قذفنا بها الغرب ، والتي لا تجعل للّه ولا للآخرة مكانًا في الحياة ، ولا تعترف بالدين إلا باعتباره خادمًا ، وأداة يمكن استخدامها - عند الضرورة - لاسترضاء الجماهير المتدينة ، أو إلهائها ، أو استثارتها لغرض موقوت .

ومن أجل ذلك نحي الدين والإيمان عن مكانه في قيادة الأمة وتربيتها ، وعزل عن التعليم والثقافة والتوجيه والإعلام ، وعن سائر ميادين حياتنا الفكرية والعملية ، والاجتماعية والسياسية ، إلا بعض رسوم ومظاهر وقشور أبقيت للدين ، لا تُسمن من شبع ، ولا تُغني من جوع .

إن كل عمل يوجه ضد الدين والإيمان هو عمل عدائي موجه إلى صميم كياننا ، ومقومات حياتنا ، وجذور نهضتنا .

نحن قوم مؤمنون ، وهذا الإيمان هو أساس شخصيتنا ، وسر قوتنا ، ورافع رايتنا ، هو سر مجدنا في الماضي ، وباعث انتفاضتنا في الحاضر ، ومناط آمالنا في المستقبل .

نحن قوم مؤمنون ، وهذه قضية بديهية ، يجب أن يلتقي على حمايتها وتثبيتها وإشاعتها قلم الكاتب ، ولسان الخطيب ، وسلطان الحاكم ، وقوة الجيش ، ورقابة الشعب .

يجب أن يرعاها الأب في البيت ، والمعلم في المدرسة ، والأستاذ في المحاضرة ، والأديب في القصة ، والصحفي في الخبر ، والمؤلف في الكتاب ، وكل ذي فن في فنه .

إن كل ثغرة تفتح في أي جانب من جوانب حياتنا الثقافية والفنية والعملية لتصوب منها سهام الشك أو الجحود إلى صدر الإيمان تعد خيانة لأمتنا ، وخروجًا سافرًا على مبادئها ، ومروقًا من صفوفها ، وانضمامًا إلى آكد أعدائها ، وتعويقًا لما تقوم به الجوانب الأخرى من جهاد إيجابي .

ولا بد لكلمة الحق أن تعلو وتنتصر ، وكلمة الكفر والشك تهبط وتندحر ، وصدق اللّه العظيم : ﴿ألم تر كيف ضرب اللّه مثلاً كلمةً طيبةً كشجرةٍ طيبةٍ أصلها ثابتٌ وفرعها في السماء ۞ تؤتي أُكُلها كل حين بإذن ربها ويضرب اللّه الأمثال للناس لعلهم يتذكرون ۞ ومثل كلمةٍ خبيثةٍ كشجرةٍ خبيثةٍ اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرارٍ﴾ [إبراهيم : ٢٤- ٢٦].

واللّه غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يطمون .

المسلمون في الكاميرون ..

بين الأمس واليوم

كتبه / محمد الأمين بن أحمد الكاميروني

خريج كلية الدعوة وأصول الدين بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

تقع دولة الكاميرون في وسط إفريقيا ، ويحدها ست دول إفريقية وهي : نيجيريا ، وتشاد ، وإفريقيا الوسطى ، والجابون ، وكونغو برازافيل ، وغينيا الاستوائية ، والمحيط الأطلسي .

وتعتبر دولة الكاميرون بمثابة جسر يصل بين وسط إفريقيا وغربها ، ومناخها مداري ، ما عدا المرتفعات ، لأنها تقع شمال خط الاستواء ، وتغطي الغابات الاستوائية السهول المطلة على خليج غانا ، وتقل النباتات الكثيفة كلما اتجهنا شمالاً .

✹ الأحوال الاقتصادية :

١ - الثروة الزراعية : تعتمد الكاميرون على الزراعة ، وتحتل المركز الخامس في تصدير الكاكاو ، وأهم محاصيلها الزراعية : (حبوب زيتية ، كاكاو ، بن ، أخشاب ، موز ، أرز ، قطن) .

٢ - الثروة المعدنية : (نفط ، غاز طبيعي ، حديد ، بوكسيت ، قصدير ، ذهب) .

٣ - الثروة الحيوانية : (الأبقار ، الأغنام ، الماعز) .

٤ - الثروة الصناعية : أهم الصناعات التي تقوم الكاميرون بإنتاجها : (منتجات النفط ، الألومنيوم ، المطاط ، الأسمنت ، السكر) .

✹ اللغات وبعض أهم القبائل :

اللغات الرسمية في الكاميرون هي الفرنسية والإنجليزية - لغات المستعمرين - ولا نجد هناك لغة تعترف بها الدولة كلغة رسمية من سائر اللغات المحلية ، ولعل السبب في ذلك راجع إلى :

كثرة القبائل التي تسكن هذه الدولة ، حيث تقدر القبائل فيها بما يزيد عن ٢٠٠ قبيلة ، ولكل قبيلة لغتها وعاداتها وتقاليدها ، فاختيرت لغة الاستعمار لكي تكون لغة السياسة ، كما شاء اللَّه أن تكون اللغة العربية هي لغة الإسلام بالدولة .

ومن القبائل المسلمة المشهورة بالكاميرون : قبيلة الفلاني ، وقبيلة الهوسا ، وقبيلة البامون وغيرها .

✹ الحركات الاستعمارية والاستقلال :

لقد تتابع على الكاميرون حركات استعمارية متعددة ابتداءً من الاستعمار البرتغالي في حدود القرن الخامس عشر الميلادي ، حيث تأسست محطات أوروبية لتجارة الرقيق ، وبعد ذلك تلاه الاستعمار الألماني للكاميرون في حدود عام ١٨٨٤ م .

وبعد الحرب العالمية الأولى قُسمت الكاميرون بين إنجلترا وفرنسا عام ١٩٢٠ م ، وفي عام ١٩٥٧ م استقل القسم الفرنسي ، ثم ضمت إليه جزءًا من الكاميرون البريطانية ، وأعلنت جمهورية الكاميرون المتحدة ، وذلك عام ١٩٦٠ ، فاستقلت

بذلك عن الاستعمار ، وذلك في يوم ٢٠ من مايو عام ١٩٦٠م .

❋ الإسلام في الكاميرون :

يقدر نسبة المسلمين في الكاميرون بحوالي ٥٥٪ ، ويحدد بعض المؤرخين دخول الإسلام في الكاميرون من أيام المرابطين ، ثم أيام الموحدين ، وفي القرن التاسع عشر الميلادي قاد عثمان بن فودي حركة إسلامية إصلاحية أعانت على نشر الإسلام في الكاميرون ، ثم استمرت حركة انتشار الإسلام في عهد خلفاء عثمان بن فودي ، ولم يوقف تقدم الإسلام ، إلا الاحتلال الألماني ، الذي شجع البعثات التنصيرية ، وترك المجال مفتوحًا أمامها لتعمل دون منافس ؛ ولذلك واجه التعليم الإسلامي ظروفًا صعبة ، مما سبب النقص الحادّ في التعليم العالي ، فلم يتخرج أحد من العلماء من الكاميرون أثناء الاحتلال ، وبعد الاستقلال أصبح تعليم الدين بالمرحلة الابتدائية أساسيًا ، فأنشئت مدارس إسلامية ابتدائية باسم « المدرسة الفرنسية » ، يدرس فيها التلميذ مبادئ الدين الإسلامي واللغة العربية ، بالإضافة إلى دراسة اللغة الفرنسية بالمناهج الحكومية ، وتنتشر هذه المدارس في مناطق المسلمين بالكاميرون ، ويقدر عددها بحوالي (٥٠) مدرسة ، ولكن المشكلة الأساسية التي تواجه مثل هذا النوع من التعليم عدم وجود معاهد على هذا المنوال ، حيث يضطر الطالب بعد تخرجه من المرحلة الابتدائية إلى أن يتحول إلى المدارس الحكومية في مراحله الدراسية التالية ، مما أدّى في الآونة الأخيرة إلى ضعف هذه المدارس ، حتى أصبحت حاليًا مهددة بالانهيار ، نسأل الله أن يتداركها بفضله ورحمته .

وهناك معاهد إسلامية في الكاميرون تقدر بحوالي خمس معاهد ، وتعتمد على دراسة دينية باللغة العربية فقط ، وهذه المعاهد كذلك على وضع غير مرضيّ ؛ نتيجة لعدم وجود جهة معينة تشرف عليها وتتابع أعمالها وحركاتها ، وإنما كانت تقوم على جهود فردية من الذين لهم الغيرة على دينهم ، وهناك الكثير من المدرسين في هذه المعاهد بدون أي مقابل يتقاضونه ، وإنما يعملون تطوعًا لخدمة هذا الدين ، وسعيًا لنشر سنة الرسول ﷺ ، وتعتبر هذه المعاهد - بلا شك - أكبر مؤسسة دعوية تنشر الإسلام على العقيدة الإسلامية الصحيحة ، ولقد ساهمت بقدر كبير في إزالة كثير من البدع والخرافات التي كانت منتشرة في البلاد ، بل ولم تقتصر جهودها على نشر التعاليم الإسلامية في الكاميرون فحسب ، بل وفي الدول المجاورة أيضًا ، عن طريق طلاب تتلمذوا وتخرجوا في هذه المعاهد وعادوا إلى بلادهم قائمين بواجب الدعوة إلى الله تعالى ونشر التعاليم الصحيحة للدين الإسلامي ، وكان للمعهد الإسلامي بمدينة « نغاوندري » - في شمال الكاميرون - والذي يديره الشيخ محمد علي ديوا ، المتخرج في كلية الشريعة بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة في حدود عام ١٣٩٠ هـ تقريبًا ، كان لمعهده القدر الكبير في المساهمة في نشر الدعوة الإسلامية على منهج السلف الصالح ، رضوان الله تعالى عليهم ، في الكاميرون وفي الدول المجاورة .

ومع هذا ، فإن هذه المعاهد بصفة عامة تعاني حاليًا من حالة الضعف وعدم الاستقرار ، مما يهددها بالانهيار ، إلا أن يتداركها الله تعالى برحمته .

فرجاؤنا من الجهات الإسلامية التي لها الغيرة على دينها ، وعلى نشر سنة الرسول ﷺ أن يهبّوا لنصرة هذه المؤسسات الدعوية وإنقاذها ، بتفقدها والإشراف عليها ماديًا ومعنويًا ، فقد بينا لكم أحوالها .

والله المستعان ، وعليه التكلان . وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

باب

اللغة العربية

الحلقة الأولى

بقلم د / سيد خضر

الطريق إلى تقويم اللسان

حين أراد اللّه تعالى إكرام البشر بالقرآن والرسالة الخاتمة كانت العربية قد استوت لغة راسخة البنيان والبيان مكتملة القواعد ، وتغلبت لغة عربية مشتركة عليا على لهجات القبائل ، فأخذت من كل لهجة خير ما فيها لتصبح لغة مشتركة يفهمها كل عربي ، وهي اللغة التي نزل بها القرآن الكريم ، وثمة أمور ساعدت على الوصول إلى هذه اللغة العليا المشتركة قبيل الإسلام ، منها الحج إلى مكة التي كانت مجتمعًا مفتوحًا لكل العرب ، ومنها الأسواق الأدبية كسوق عكاظ ، حيث يجتمع شعراء العرب يتناشدون الأشعار بلغة فصحى مفهومة للجميع ، ومنها ظهور طائفة من الشعراء الكبار كأصحاب المعلقات الذين انتشر شعرهم في العرب عاملاً على توحيد لهجاتهم ، وكأنما كان كل ذلك إرهاصًا وتقدمة لتستوي العربية لغة مؤهلة لقبول أعظم كتب البيان الخالد : القرآن الكريم .

والإسلام دعوة عالمية لأهل الأرض قاطبة ، ولذا انساح المسلمون الأول في مشارق الأرض ومغاربها ينشرون دين اللّه في الآفاق ، ودخل الناس في دين اللّه أفواجًا من كل جنس ولون ، من فرس وروم وقبط وبربر .. إلخ . ومن هنا نشأ من يعرف في الاصطلاح اللغوي باللحن ، وهو الخطأ في ضبط الكلمات أو استعمالها ، وذلك من جراء دخول غير العرب في الإسلام .

ولما فشا اللحن شمر العلماء عن ساعد الجد وبدءوا في وضع القواعد المانعة من اللحن ، وهي القواعد التي اشتهرت فيما بعد باسم ((علم النحو)) ، الذي صار أساسًا لكل علوم العربية فيما بعد .

وثمة روايات كثيرة عن نشأة النحو وأول من تكلم فيه ، ولا

نحسب المقام هنا يحتمل سرد ذلك ، غير أن أشهر الروايات في ذلك واردة عن التابعي أبي الأسود الدؤلي الذي صحب عليًا ، رضي اللَّه عنه ؛ وسنورد بإيجاز أشهر الروايات عنه لنجعلها بداية لدروسنا هذه :

١- جاء أبو الأسود إلى زياد بن أبيه والي البصرة لمعاويةَ ، فقال : إني أرى العرب قد خالطت الأعاجمَ وتغيرت ألسنتهم ، أفتأذنُ لي أن أضع للعرب كلامًا يعرفون به أو يقيمون به كلامهم ؟ قال زياد : لا ، فجاء رجل إلى زياد فقال : أصلح اللَّه الأمير ، تُوُفِّي أبانا ، وترك بنونًا ، فقال زياد : توفي أبانا وترك بنونًا ! ادعُ لي أبا الأسود ، فقال : ضع للناس الذي نهيتك أن تضع لهم(١) .

٢- قالت ابنةُ أبي الأسود لأبيها يومًا : يا أبت ، ما أحسنُ السماءِ ؟ قال : أي بنيةَ ، نجومُها ، قالت : إني لم أرد أي شيء منها أحسن ، إنما تعجبت من حسنها ، قال : إذن فقولي : ما أحسنَ السماءَ ، فحينئذ وضع كتابًا(٢) .

وقبل توضيح اللحن المذكور نقول : إن تعلم العربية وقواعدها واجب كتعلم التفسير والفقه والحديث ؛ لأن العربيةَ هي المدخل الأول لفهم هذه العلوم ، إنها وعاء حضارة الإسلام ، ولا يُفهم القرآنُ ولا كلامُ الرسول ﷺ ، ولا تراثُ الإسلام الضخمُ إلا بفقه العربية ، ولهذا اشترط الأصوليون لمن يريد أن يصل إلى مرتبة الاجتهاد أن يكون عالمًا بالعربية ؛ لأن الشريعة عربية ولسانها عربي(٣) .

ومن قبل كان عبد اللَّه بن عمر يضرب ولدَه على اللحن(٤) .

وقال السيوطي : واتفق العلماء على أن النحو مُحتاج إليه في كل فن من فنون العلم(٥) .

وهذه دعوة نقدمها لإخواننا في اللَّه لتعلَم العربيةَ رويدًا رويدًا ، لنشاركَ بذلك عمليًا في درْء الهجمةَ الخبيثةَ المغرضةَ على العربيةَ وعلومها ، عسى اللَّه أن يردَّ عن لغتنا كيدَ الكائدين ، على أننا يجب أن نبدأ بأنفسنا .

وطريقتنا هنا ستكون على المدى الطويل بيانَ بعض القواعد والاستعمالات اللغويةَ ، وبعض الأخطاء في أساليب الكتاب وبيان صوابها ، وسنجعل من أخبار أبي الأسود هذه البداية .

أولاً : قول الرجل لزياد : (تُوُفِّي أبانا) فيه خطأ نحوي ، والصواب : توفي أبونا ، وذلك أن الرجل نصب (أبا) ، وحقه الرفع ؛ لأنه نائب فاعل ، ونائب الفاعل اسم مرفوع يحل محل الفاعل حين يحذف لضرورة سياقية ، تقول : تَوَفَّى اللَّه محمدًا ، وقد صار معلومًا أن اللَّه تعالى هو الذي يتوفى الأنفس ، ولكمال العلم بالفاعل يجوز حذفه وبناء الفعل للمجهول ، وإحلال المفعول به ، أو ما يشبهه محل الفاعل ، فيكون مرفوعًا ، ومن ذلك في القرآن الكريم : ﴿ وقيل يا أرضُ ابلعي ماءَك ﴾ [هود : ٣٣] ، والأصل قبل البناء للمجهول : وقال اللَّه يا أرض ابلعي ماءك ، ولما كان من المعلوم أن أحدًا غير اللَّه لا يستطيع إصدار هذا الأمر ، حُذف الفاعل النحوي للتعظيم ولكمال العلم به .

ومن الأخطاء الشائعةَ قولهم : تَوَفَّى اليومَ فلانٌ ، بفتح التاء والواو والفاء بعدها ألف ، والصواب : تُوُفِّي اليومَ فلان ، بضم التاء والواو ، وكسر الفاء بعدها ياء مبنيًا للمجهول ؛ لأنه لا يصح أن يكون فاعل توفى المبني للمعلوم إلا اللَّه وحده كما مثلنا .

وقول الرجل لزياد : (وترك بنونًا) خطأ ، صوابه : وترك بنين ؛ لأن بنين مفعول به ، منصوب بالياء ؛ لأنه ملحق بجمع

المذكر السالم ، والفاعل ضمير مستتر تقديره هو يعود على الأب .

ثانيًا : أما قول ابنة أبي الأسود : (ما أحسنُ السماءِ) . فلا يصح بهذا الضبط إن أردنا منه التعجب ، وإنما هو استفهام ، ولتوضيح الأمر مفصلاً يجب أولاً أن نلاحظ ضبط آخر كل كلمة بالشكل ؛ لأن ذلك هو الفارق بين المعاني المتعددة للجملة ، وإذا صنعنا جملةً مشابهة مثل : (ما أحسن خالد) ، فإن هذه الجملة تحتمل حسب الضبط والتنغيم المصاحب للنطق المعاني الآتية :

أ- ما أحسنُ خالدٍ ؟ برفع أحسن وجر خالد ، وهذه جملة استفهام ، نسأل بها عن أحسن شيء في خالد ، وقد يرد من الجواب : خلقُه أو علمُه ، وإذا أعربنا نقول : (ما) اسم استفهام مبني في محل رفع مبتدأ ، و(أحسن) خبره مرفوع ، و(خالد) مضاف إليه مجرور .

ب- ما أحسنَ خالدٌ ؟ وهذه أيضًا جملة اسمية استفهامية ، نسأل بها عن أي الأعمال التي يحسنها خالد ، و(ما) في محل رفع مبتدأ ، و(أحسن) فعل ماض مبني على الفتح ، و(خالد) فاعله ، والجملة الفعلية في محل رفع خبر المبتدأ ، والمعنى : أي شيء يحسنه خالد ؟

ج- ما أحسنَ خالدٌ ، وهذه جملة فعلية منفية ؛ أي أنك تنفي عن خالد الإحسان في فعل (ما) ، و(ما) هنا نافية غير عاملة ؛ أي لا ترفع ولا تنصب ، و(أحسن) فعل ماض مبني على الفتح ، و(خالد) فاعله مرفوع .

د- ما أحسنَ خالدًا ! وهذه جملةَ اسميةَ تعجبيةَ ، تفيد التعجب من حسن خالد أو حسن خلقه ، (ما) في محل رفع مبتدأ ، (أحسن) فعل ماض جامد للمدح مبني على الفتح ، وفاعله مستتر فيه وجوبًا ؛ لأن العرب لم تظهره في هذا الموضع قط ، والجملة : (أحسن) وفاعله المستتر في محل رفع خبر ، و(خالدًا) مفعول به منصوب ، والمعنى : شيءٌ ما جعل خالدًا حسنًا .

إن الفارق بين معاني الجمل المتقدمة الضبطُ بالشكل وطريقةُ نطق الجملة أو التنغيم .

كيف ينجح برنامجك هذا لتعلم العربية ؟

هذه نصيحة لإخواننا الكرام ممن يريدون البدء في تعلم العربية بالتدريج ، وذلك بأن تحضر دفترًا خاصًا ، وتنقل فيه أهم ما استفدته من معلومات من هذا المقال - خصوصًا الجمل وإعرابها - وتحاول صنع جمل مشابهة مع نطقها نطقًا سليمًا ، ولا مانع من سؤال من حولك من أهل العلم باللغة عما لا تعلم ، وبذلك تزداد حصيلتك اللغوية يومًا بعد يوم .

والله الموفق .

---

(١) ((أخبار النحويين البصريين)) لأبي سعيد السيرافي (١٣- ط الحلبي ١٣٧٤ هـ ١٩٥٥ م) .

(٢) ((أخبار النحويين البصريين)) لأبي سعيد السيرافي (١٤- ط الحلبي ١٣٧٤ هـ ١٩٥٥ م) .

(٣) ((الموافقات)) للشاطبي (١١٤/٤) ط دار المعرفة ، بيروت .

(٤) رواه البخاري في ((الأدب المفرد)) ح (١٨٨) ط مؤسسة الكتب الثقافية ، بيروت .

(٥) ((المطالع السعيدة)) شرح ألفية السيوطي النحوية (٥٠/١) ط الدار الجامعية ، الإسكندرية ١٩٨١ م .

باب التراجم

من أعلام الدعوة

جمع وترتيب

فتحي أمين عثمان

وكيل عام الجماعة

الدكتور السيد رزق الطويل

ابن أنصار السنة المحمدية ورئيس دعوة الحق الإسلامية

● الاسم : السيد عبد الوهاب رزق الطويل .

● ولد بقرية نكلا مركز إمبابة ، في اليوم السادس من شهر نوفمبر ، سنة اثنين وثلاثين وتسعمائة وألف من أبوين مؤمنين ، حيث كان والده يحفظ القرآن الكريم ، وتلقى جانبًا من الدراسة بالأزهر ، ولكنه انقطع عنها ، وهو الذي أنشأ جماعة أنصار السنة المحمدية بنكلا .

● قطع والده - رحمه الله - العهد على نفسه أن يلحق ولديه الدكتور عبد القادر ، والدكتور السيد رزق الطويل إلى الدراسة بالأزهر تعويضًا عن عدم مواصلته للدراسة بالأزهر .

● حفظ القرآن الكريم بمكتب مأذون القرية ، كما تلقى مبادئ القراءة والكتابة والخط بمكتب نكلا العام ، ونال جائزة حفاظ القرآن الكريم عام ١٩٤٤م .

● التحق بمعهد القاهرة الديني بالأزهر عام ١٩٤٦م ، وحصل على الابتدائية عام ١٩٥٠م ، ثم على الثانوية عام ١٩٥٥م ، ثم العالمية التربوية عام ١٩٥٩م من كلية اللغة العربية .

● حصل على الماجستير من قسم اللغويات عام ١٩٦٧م .

● حصل على الدكتوراه عام ١٩٧٤م بمرتبة الشرف الأولى في موضوع عنوانه : (الخلاف بين البصريين والكوفيين وأثره في تطور الدراسات النحوية في نهاية القرن السادس للهجرة) .

● عين مدرسًا لغويًا بكلية الدراسات الإسلامية والعربية جامعة الأزهر - بنين - وظل يعمل بها حتى حصل على درجة أستاذ مساعد ، ثم أستاذًا في قسم اللغويات .

- في عام ١٩٨٧ عين وكيلاً لكلية الدراسات الإسلامية والعربية بجامعة الأزهر - بنين - ثم عين عميدًا لها لفترتين متتاليتين .

- استمر بالجامعة حتى أحيل إلى المعاش ، وعين أستاذًا متفرغًا للدراسات العليا .

- ظهرت عليه علامة النبوغ منذ أول أيامه في الأزهر ، الأمر الذي دفع به فضيلة الشيخ محمد حامد الفقي - مؤسس جماعة أنصار السنة المحمدية - إلى أن يرعاه ، وأن يجعله تحت عنايته العلمية ، مما أكسبه علمًا واسعًا ، خاصة ما برز فيه الشيخ الفقي من علوم التفسير وعلوم القرآن ، وبذلك وجدنا الشيخ الطويل لم يبدأ كتاباته في ((الهدي النبوي)) في تفسير القرآن من أول المصحف ، وإنما بدأ بما انتهى عنده شيخاه الكريمان : محمد حامد الفقي ، وعبد الرحمن الوكيل عند الآية (٦٠) من سورة ((مريم)) .

- ومن الدلالات على قدرته على الكتابة أنه كان يكتب في مجلة ((الهدي النبوي)) ؛ مجاملاً في هذا علماء الجماعة الكبار أمثال : الشيخ أبو الوفا محمد درويش ، والشيخ عبد الرحمن الوكيل ، والشيخ محمد صادق عرنوس ، والشيخ محمد خليل هراس .

- كان متأثرًا في آرائه وأفكاره ومنهجه وعلمه بالشيخين أبي الوفا درويش ، وعبد الرحمن الوكيل ، فقد كان موسوعي الاطلاع ، شأن الشيخ درويش ، الذي كان يسميه (حبر الصعيد) ، كما كان ملمًا بحقيقة التصوف وضلالاته ، شأنه في ذلك شأن أستاذه الشيخ عبد الرحمن الوكيل ، حتى أنه من فرط محبته للشيخ عبد الرحمن الوكيل أنه عندما أراد أن ينشئ جماعة دينية أطلق عليه اسم أحد كتبه ، وهو كتاب ((دعوة الحق)) .

ومن مميزاته العلمية أنه كان له منهجه المتميز كداعية إسلامي ، فلم ينهج منهجًا تقليديًا متوارثًا ، بل تحرر من هذه القيود ، فكانت مقالاته وكتاباته وأحاديثه تجمع بين الأسلوب المصري ، وبين التراث الإسلامي بمقررات واضحة ومفهوم سهل ، في متناول كل القراء على اختلاف أفهامهم وقدراتهم العلمية ، وكان متأثرًا في ذلك بمنهج الشيخ محمد حامد الفقي - رحمه اللَّه - وقراءاته لكتب ابن تيمية وتلميذه ابن القيم التي وقع عليها بُعد نظره وهو في بداية دراسته الأزهرية .

- كان - رحمه اللَّه - على خُلق دمث ، تجلى ذلك في معاملاته ، كما كان له أثر كبير مع المخالفين من الطرق الصوفية ، وغيرهم . حيث كان يستخدم معهم عبارات مهذبة جاريًا على طريقة القرآن في الدعوة بالموعظة الحسنة ، والرفق بالعقول ، فكان إذا سمع شيئًا لم يعجبه نادى بالرفق بعقول المسلمين ، كقوله في إحدى مقالاته : (رفقًا بوعي هذه الأمة) ، أو (رفقًا بعقول المسلمين يا دراويش البدوي) .

- كان يكتب في المجلات العلمية والصحافة اليومية ، وخاصة صحافة الجمعة ، مصححًا للمفاهيم الخاطئة ، ومناديًا بالمفاهيم الصحيحة .

- ومما يدل على بُعد نظره - رحمه اللَّه - أنه في أول عهده بالكتابة في مجلة ((الهدي النبوي)) كتب مجموعة من المقالات تحت عنوان : (آفة الجماعة الإسلامية) ، بدأها بمقال تحت عنوان : (التفرق والاختلاف) بلغت (١٢) مقالة ، وكأنه كان يعلم - من خلال قراءاته للقرآن والسنة - أخطار التفرق والاختلاف على الأمة الإسلامية ، فحذر منها ، ونبه عليها ، وكان يتمنى أن يجتمع المسلمون والعرب تحت راية الإسلام ، حتى لا ينال

منها الاستعمار ، وقد أوضح في سلسلة هذه المقالات منابع التفرق والاختلاف على مر العصور ، وأخطارهما على المسلمين .

وقد حدث توقعه ، فالأمة الإسلامية اليوم قد أصيبت بداء التفرق بفعل مؤامرات الصهيونية ، وغيرهم من أعداء الإسلام ، المتكالبين على المسلمين .

● وعلى الرغم من أنه أسس جماعة دعوة الحق الإسلامية ، ورأسها ، لم يكن بعيدًا عن أنصار السنة المحمدية قلبًا ومعنى ، فكان – رحمه اللَّه – يسر أيما سرور عندما يُدعى لإلقاء خطبة الجمعة في أحد الفروع ، أو إلقاء محاضرة ، حيث يلتقي بإخوانه من القدامى ، أمثال ما كان يحدث في شربين مع الشيخ عبد الباقي الحسيني ، وفي دمياط مع الشيخ السيد الزيني ، وفي كفر العلو مع الشيخ عبد المجيد محمد صالح .

وغيرهم كثير في فروع الجماعة ممن كانوا يدعونه لخطب الجمعة أو إلقاء المحاضرات ، فلم يتأخر ، بل يلبي الطلب بترحاب وسرور .

● كان – رحمه اللَّه – حريصًا على المشاركة والمساهمة في طبع كتب شيوخه الراحلين القدامى ، إذ ساهم بنصيبًا وافر في طبع كتاب ((دعوة الحق)) للشيخ عبد الرحمن الوكيل ، وكتاب ((الأسماء الحسنى)) للشيخ أبي الوفا درويش .

● تنوعت وسائل جهوده في نشر الدعوة الإسلامية ، فأصدر عدة مؤلفات ؛ منها ((الدعوة في الإسلام عقيدة ومنهج ، لكي تستعيد أمتنا ذاكرتها)) ، وغيرها من المؤلفات التي تعبر عن عقيدته السلفية ، كما كان له تراثه العلمي من المقالات والبحوث التي نشرت في المجلات والصحف المحلية والخارجية ، كما أتاحت له الإذاعات في شبكة القرآن الكريم والبرنامج العام في أحاديث الصباح ، حيث كان يكتب ويلقي مقدمة التلاوة ، كما كانت له أحاديث في علوم القرآن والدين والمجتمع ، سواء منها في التلفاز أو الإذاعة .

● كما شارك في كثير من المؤتمرات العلمية في دول إسلامية كثيرة ، مثل باكستان ، وقدم فيها أبحاثًا مختلفة عن القرآن الكريم .

● وفاته : وقد تُوفي – رحمه اللَّه – فجر يوم السبت ٧ من ربيع الثاني سنة ١٤١٩ هـ ، وذلك بعد أن خطب الجمعة ، وصلى صلاة الجنازة على الشيخ – رحمه اللَّه – الشيخ سالم عبيد باحبيش وشيع جنازته في المقابر وأبّنه ، ثم عاد إلى داره ، ثم وافته أزمة قلبيه بالمستشفى ، فمات عن عمر يناهز الستة وستين عامًا ، وشيعته جموع كبيرة من أهل قريته ، ومن البلاد المجاورة ومن محبيه وعارفي فضله ، كما شارك في جنازته أيضًا من أساتذة وعلماء الأزهر الذين عرفوه وعرفوا خصاله ، إذ كان وديعًا هادئًا . وهكذا يقبض العلم بقبض العلماء .

واللَّه نسأل أن يتغمده بواسع رحمته ، وأن يسكنه الفردوس الأعلى من الجنة .

وأن يجمعه مع سلف الأمة ، وأن يخلف أهله خيرًا منه . وإنا للَّه وإنا إليه راجعون .

وكتباه الفقيران إلى عفو اللَّه :

فتحي أمين عثمان
وسعد صادق محمد

بسم الله الرحمن الرحيم

معرض ابن تيمية الثالث للكتاب

يسر مكتبة ابن تيمية بالطالبية – الهرم :

أن تعلن عن معرضها الثالث للكتاب ، والذي سيبدأ – بعون الله تعالى – يوم الخميس ١١ جمادى الآخرة ١٤١٩ هـ الموافق ١/١٠/١٩٩٨ م ، وسينتهي ١١ رجب الموافق ٣١/١٠/١٩٩٨ م ، وسيضم المعرض تشكيلة هائلة من كتب دور النشر السعودية وغيرها من الكتب الجديدة والمستعملة والمخرومة ، كما أنه متوقع إقامة المعرض كذلك في مدينة الإسكندرية آخر شهر رجب ١٤١٩ هـ ، وسيعلن هناك في حينه .

سائلين المولى عز وجل التوفيق والسداد .

المكتبة ت : ٥٨٦٤٢٤٠

مطابع دار الطباعة والنشر الإسلامية/العاشر من رمضان/المنطقة الصناعية ب٢ تليفاكس : ٣٦٢٣١٣ - ٣٦٣٣١٤ .

بسم الله الرحمن الرحيم

جماعة أنصار السنة المحمدية
المركز العام
إدارة شئون القرآن الكريم

مسابقة القرآن الكريم السنوية لعام ١٤١٩ هـ

تعلن إدارة شئون القرآن الكريم بالمركز العام عن عمل مسابقة القرآن الكريم الكبرى ، وسوف تكون المسابقة على أربعة مستويات :

المستوى الأول : .... حفظ القرآن الكريم كاملاً .
المستوى الثاني : .... حفظ ثلاثة أرباع القرآن الكريم .
المستوى الثالث : .... حفظ نصف القرآن الكريم .
المستوى الرابع : .... حفظ عشرة أجزاء .

وتقوم الفروع بعمل اختبار للمتسابقين ، ثم تقوم بترشيح اثنين من كل مستوى للاشتراك في المسابقة التي سيكون مقرها إدارة شئون القرآن بالمركز العام ، على أن يأتي المتسابق ومعه خطاب ترشيح من الفرع ، ولا يزيد سن المتسابق عن عشرين عاماً .

الجوائز

المستوى	الفائز الأول	الفائز الثاني	الفائز الثالث	الفائز الرابع
المستوى الأول	٥٠٠ جنيه	٤٠٠ جنيه	٣٥٠ جنيه	مجموعة كتب
المستوى الثاني	٣٥٠ جنيه	٢٥٠ جنيه	٢٠٠ جنيه	مجموعة كتب
المستوى الثالث	٢٥٠ جنيه	٢٠٠ جنيه	١٥٠ جنيه	مجموعة كتب
المستوى الرابع	٢٠٠ جنيه	١٥٠ جنيه	١٠٠ جنيه	مجموعة كتب

وإدارة شئون القرآن الكريم بالمركز العام تدعو الله أن يجعلنا وإياكم من أهل القرآن الذين هم أهل الله وخاصته ، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وسوف تكون المسابقة الأربعاء : ٩/٩/١٩٩٨م

سكرتير الإدارة
صابر محمد مالك

مدير إدارة شئون القرآن
الشيخ / أسامة علي سليمان

سواك مكة
متوفر بعدة نكهات منعشة
Sewak Makkah

سواك مكة

Sewak Makkah®

أجمل هدية لأغلى الأحباب

متوفر بعدة نكهات منعشة

متوفر بعدة نكهات منعشة

وكلاء التسويق في العالم مؤسسة يارا للتجارة والتسويق

المملكة العربية السعودية - الرياض - هاتف ٢٣٢٧٣٣٦ (٠٠٩٦٦-١) - فاكس: ٢٣٠١٩٣٢ (٠٠٩٦٦-١) - ص. ب ٢٦٤٣٣ الرمز ١١٤٨٦

YARA MARKETING CORPORATION WORLDWIDE AGENTS

Tel.: (00966-1)2327336 Fax :(00966-1) 2301932 P.O. Box 26433, Code 11486 Riyadh Kingdom of Saudi Arabia

NATURAL
سواك مكة
MINT FLAVOUR
سواك مكة